الإمام الشافعي

ومدرسته الفقهية

تأليف

الأستاذ الدكتور علي جمعة

أستاذ أصول الفقه - جامعة الأزهر

منشورات

علاء وسرحان

دار الرسالة - القاهرة

الرسالة

الإمام الشافعي

ومدرسته الفقهية

مَنشُورَاتُ
عَلِيُّ بْنُ نَايِفِ الشَّحُودِ

جميع الحقوق محفوظة

جميع جقوق الملكية والأدبية والفنية محفوظة
لدار الرسالة القاهرة مصر
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملا أو مجزءًا أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطيًّا

Exclusive Rights by
Dar al-resala Egypt – Cairo

No part of this publication may be translated, distributed in any from or by any means, or stored in data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

دار الرسالة - القاهرة

٣٣ شارع الدكتور أحمد محمد إبراهيم ناصية مصر للطيران – عباس العقاد – مدينة نصر القاهرة
ت: ٢٧٠٣١٤٢
فاكس: ٢٨٧٤٦٩٠
محمول: ٠١٢٣١٢٠٦٤٣
بريد ألكتروني: resnashr@maktoob.com

الإمام الشافعي

ومدرسته الفقهية

تأليف
الأستاذ الدكتور علي جمعة
أستاذ أصول الفقه - جامعة الأزهر

منشورات
علاء الدين
دار الرسالة - القاهرة

الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

الإمام الشافعى ومدرسته الفقهية

هذه كلمات كاشفة تترجم للإمام الشافعى وتعرف بمدرسته الفقهية وكيف وصلت إلينا، تلقى الضوء على مجتهد من المجتهدين العظام، الذين كان لهم أكبر الأثر فى مسيرة الفقه الإسلامى بعامة، والفكر القانونى بخاصة، حتى أصبح الإمام الشافعى ومدرسته علامة فارقة فى تاريخ الفكر وتاريخ العمل معاً، كان رضى الله عنه آية من آيات الله فى كونه وليس على الله بمستغرب أن يجمع العالم فى واحد، فرضى الله عن الإمام وجعله نبراساً يحتذى، وإماماً يقتدى به ومثالاً صالحاً لطلبة العلم فى سعيهم لتحصيله لنفع الناس وإقامة وتوضيح الحُجة، وعسى الله أن ينفع بهذه الورقات كثيراً من خلقه.

ولقد قسمت الكتاب إلى بابين، الأول فى ترجمة الإمام والثانى فى مدرسته كما سنرى.

والحمد لله رب العالمين.

أ.د. على جمعة

أستاذ أصول الفقه جامعة الأزهر

الباب الأول

الإمام الشافعى

١ - اسمه ونسبه وأسرته:

هو: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ابن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف.

فهو هاشمى مطلبى، ابن عم رسول الله ﷺ، وأما أمه فالمشهور أنها كانت من قبيلة الأزد، وكنيتها: أم حبيبة.

وقيل: أمه هى فاطمة بنت عبد الله بن الحسين بن الحسن بن على ابن أبى طالب.

وقد تزوج الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - بالسيدة: حميدة بنت نافع بن عيينة بن عمرو بن عثمان بن عفان، وذلك بعد وفاة الإمام مالك سنة ١٧٩هـ، وعُمْر الشافعى آنذاك تسع وعشرون سنة، كما أنه كانت له سُرِّيَّة من الإماء. ورزق من امرأته العثمانية: أبو عثمان محمد، وهو الأكبر، وكان قاضياً بمدينة حلب. وابنتان: فاطمة وزينب. كما رزق من سريته بابن آخر يقال له الحسن، مات وهو طفل.

٢ - ميلاده ونشأته:

٢ - ١ - مولده:

ولد - رحمه الله - سنة خمسين ومائة، وهى السنة التى توفى فيها الإمام أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - . وقد ولد - رحمه الله -

بعسقلان وهى من قرى غزة، فنشأ فى إحدى قبائل اليمن المقيمة بفلسطين، ثم سافرت به أمه إلى مكة. وكان منزله بمكة بقرب (شعب الخَيْف).

٢ - ٢ - دور والدته:

يحكى الإمام الشافعى أن والدته خافت عليه فى اليمن أن يخمل ذكره، ويضيع نسبه، ولا ينشأ على ما ينشأ عليه ضرباؤه من قبيلته قريش، فقالت له: الِحقْ بأهلك فتكون مثلهم فإنى أخاف أن تغلب على نسبك. فقدم مكة وعنده قريباً من عشر سنين أ.هـ. وقد نشأ يتيماً فقيراً فى حجر والدته، حتى أنها لم يكن معها ما تعطى المعلم.

٣ - عصر الشافعى:

٣ - ١ - الحالة السياسية والاجتماعية:

ولد الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - فى أواخر عهد أبى جعفر المنصور العباسى، وتوفى فى أوائل عهد المأمون، وقد شهد العصر الذى عاشه الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - استقراراً سياسياً.

والجدير بالذكر أن العباسيين هم سلالة العباس بن عبد المطلب عم النبى ﷺ وقد اشتهرت الدولة العباسية من بين الدول التى عرفها التاريخ الإسلامى بأنها أطول عمراً، حيث استمرت من (١٣٢هـ/ ٧٥٠م) إلى (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).

ويُعد أبو جعفر المنصور هو المؤسس الحقيقى للدولة العباسية نظراً للجهود الضخمة التى بذلها لاستقرار الدولة، وقد تولى الخلافة سنة(١٣٦هـ/ ٧٥٤م) بعد أخيه أبى العباس السفاح والذى يعتبر أول خليفة عباسى. وقد قام المنصور بتأسيس مدينة بغداد والتى أصبحت العاصمة السياسية للدولة، كما أصبحت أحد المراكز العلمية الرئيسية فى البلاد الإسلامية.

وقد اتجهت الخلافة العباسية منذ قيامها نحو الشرق، وأخذت الكثير من الحضارات الشرقية، وخاصة الفرس، فأصبحت الدولة العباسية تدار مؤسساتها بنفس الطريقة التى كانت تدار بها المؤسسات الفارسية. وكانت الأحوال الداخلية فى هذا العصر تنعم بالاستقرار، كما كانت للدولة الإسلامية فى هذا الوقت من القوة ما جعلها مهابة الجانب. لا تتعرض للغزو أو الاعتداء الخارجى.

ومن أهم المنجزات التى قام بها الخلفاء العباسيون خاصة إبان قوة الدولة العباسية، والتى امتدت إلى سنة (٢٣٢هـ/ ٨٤٧م):

١ - تأكيد شرعية الخلافة العباسية، والقضاء على المحاولات التى استهدفت النيل من تلك الخلافة، مما أدى إلى الاستقرار السياسى والاجتماعى والاقتصادى.

٢ - إقامة حكم إسلامى توافرت فيه المساواة بين جميع شعوب الدولة الإسلامية بخلاف الدولة الأموية التى كانت تميز العرب على غيرهم من الشعوب.

٣ - رعاية الدولة العباسية للحضارة الإسلامية العربية رعاية واسعة، وإتاحة كافة الفرص أمام النمو الحضارى.

أما بالنسبة للسياسة الخارجية فى هذا العصر فمن الملاحظ تقلص الفتوحات، وإن كان تأمين حدود الدولة الإسلامية ضد الدولة البيزنطية قد حاز اهتمام الخلفاء العباسيين، حيث قاموا بتأمين الثغور، وإنشاء القلاع، وسلاسل من الحصون المتصلة. وقد أخذت سياسة الدولة العباسية ضد البيزنطيين شكلاً قوياً ومنظماً فى عهد الخليفة الرشيد، حيث كانت الغارات الإسلامية ضدهم تخرج بانتظام وفى أوقات معينة صيفاً وشتاءً، حتى هدد المسلمون العاصمة القسطنطينية، وقد اشتهرت تلك الغارات العباسية باسم (الصوائف والشواتى).

وتمتع هذا العصر بالازدهار الاقتصادى والعلمى والثقافى. وكانت الحركة العلمية فى أوج نشاطها، وقد اتسم هذا العصر بأنه عصر نشأة العلوم الإسلامية، وبداية التصنيف والتأليف فيها، ومثل هذه الفترات تمتاز بالحركة والنشاط الواسع، وحركات النقد المختلفة، وانتشار المناظرات العلمية، والمجالس المختلفة، والحوار بين شتى المدارس والاتجاهات.

٣ - ٢ - الحالة العلمية:

ساعد الاستقرار السياسى والازدهار الاقتصادى على نشاط الحركة العلمية، كما كان الخلفاء وتشجيعهم للعلماء وحبهم للثقافة وراء مزيد من النشاط العلمى والثقافى. ومن الملاحظ أن الخلفاء العباسيين - وخاصة الأوائل منهم - قد امتازوا بالمستوى الثقافى والعلمى الرفيع، فالمنصور والرشيد والمأمون كانوا فى مصاف العلماء.

ومن أهم مميزات الحركة العلمية فى هذا العصر تيسير سبل المعرفة والثقافة أمام الجميع، ورعاية طلبة العلم على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية، وأدى هذا إلى ظهور جمهور من العلماء والأدباء من أبناء العامة والشعوب التى أسلمت حديثاً.

ومن مظاهر الحياة العلمية فى العصر العباسى: رواج حركة الترجمة من الحضارات القديمة، وقد كانت الحضارة الإسلامية فى هذا العصر من القوة التى استطاعت معها أن تهضم وتنقح وتعيد صياغة كل ما نقل إليها وصبغه بصبغتها الخاصة، مما ساعد فى مزيد من القوة والنضوج للحضارة الإسلامية. وقد أسهمت عروبة الخلفاء العباسيين فى جعل اللغة العربية هى لغة الحضارة الناشئة وسياجها الحامى لها.

وقد كان هذا العصر - نتيجة لما تمتع به من قوة سياسية واستقرار شامل وحرية فكرية - يموج بشتى الأفكار والفرق، فنجد فرق المعتزلة والشيعة والزنادقة والخوارج. وقد كان لحركات الزنادقة نشاط واسع أدى إلى آثار سلبية كثيرة على المجتمع.

وكانت هناك كثير من المراكز العلمية التى كانت تزخر بالحركة العلمية النشطة: منها مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وبغداد، والكوفة، والبصرة، ومصر، ودمشق، وبلاد ما وراء النهر، والتى دخلت فى الإسلام حديثاً.

وفى هذا العصر ظهرت مدرستان أساسيتان فى الفقه الإسلامى: مدرسة الرأى، ومدرسة الحديث.

أما مدرسة الرأى فأبرز من يمثلها فى الكوفة: حماد بن أبى سليمان، وأبو حنيفة النعمان بن ثابت، وتلامذته محمد بن الحسن الشيبانى، وأبو يوسف القاضى، وزفر بن الهذيل البصرى، والحسن بن زياد اللؤلؤى، وفى المدينة ربيعة الرأى ابن عبد الرحمن. وتعد مدرسة الرأى امتداداً لمدرسة عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - الذى أقام بالعراق، وحمل عنه أصحابه العلم وقاموا بنشره حتى قال الحنفية: المذهبُ قولُ ابن مسعود. وكان عبد الله بن مسعود شديد التأثر بمنهج عمر بن الخطاب فى الأخذ بالرأى والبحث عن علل الأحكام حيث لا نص. كما كان لأصحاب على بن أبى طالب - رضى الله عنه - دور كبير فى مدرسة الرأى.

ومن أشهر أصحاب ابن مسعود علقمة بن قيس النخعى، والأسود بن يزيد النخعى، ومسروق بن الأجدع الهمدانى، وعبيدة بن عمرو السلمانى، وشُريح بن الحارث القاضى، والحارث الأعور، وهم جميعاً من فقهاء القرن الأول، وماتوا رحمهم الله بين سنتى (٦٣ - ٨٣هـ). ثم تزعم مدرسة الرأى الإمام إبراهيم بن يزيد النخعى،

ثم أتى بعده الإمام أبو حنيفة فتبلورت على يديه هو وأصحابه طريقة مدرسة الرأى واستقر أمرها.

وكانت مدرسة الرأى مزدهرة فى العراق ومراكزه العلمية، كما كان لها وجود قليل فى المدينة حيث كان يقيم الإمام ربيعة بن عبد الرحمن المشهور بربيعة الرأى.

وترى مدرسة الرأى أن شريعة الإسلام معقولة المعنى، مبنية على أصول محكمة، وعلل ضابطة للأحكام، ودور الفقيه أن يكشف عن هذه العلل ليستطيع الحكم فيما استجد من الأمور.

وقد كان لشيوع الفرق المختلفة بالعراق، وانتشار البدع فيه، وكثرة الكذب والوضع على النبى ﷺ والصحابة أثر بالغ فى تقلل أئمة الرأى من رواية الحديث والاعتماد على الاستنباط مما صح عندهم، خاصة وأن التصنيف فى السنة النبوية كان مازال فى أطواره الأولى، ولم يصنف أئمة الحديث المعتبرين بعد كتبهم المختارة المنتقاة التى يمكن الاعتماد عليها.

أما مدرسة الحديث فكان يمثلها العديد من الأئمة منهم: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وخارجة بن زيد، وسليمان بن يسار، وسالم بن عبد الله بن عمر، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، وعمرو بن حزم، ومحمد بن سيرين، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهرى، وعطاء ابن أبى رباح، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، وعبد الرحمن بن أبى ليلى، ووكيع بن الجراح، ومالك بن أنس، والليث بن سعد، ومسلم بن خالد الزنجى، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك، والإمام الشافعى، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهوية، وغيرهم كثيرون من أئمة مدرسة الحديث.

وتُعد مدرسة الحديث امتداداً لمدرسة عبد الله بن عباس، وعبد الله ابن عمر، وعائشة - رضى الله عنهم - وغيرهم من فقهاء الصحابة الذين أقاموا بمكة والمدينة واشتهر أصحابهم بها. ولما كانت مدرسة الحديث منتشرة بمكة والمدينة، كان لها وجودها القوى أيضاً بالعراق حيث كان يمثلها عامر الشعبى وسفيان الثورى، كما كان لها وجودها القوى بالشام حيث مثلها الإمام الأوزاعى، وعبد الله بن المبارك، ومحمد بن جرير الطبرى.

وقد كان الخلفاء العباسيون يعملون بمذهب جدهم عبد الله بن عباس، وقد جمع فتياه حفيد للمأمون، واسمه أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب.

وتمتاز مدرسة الحديث بالوقوف عند النص من الكتاب أو السنة فإن لم يجدوا نظروا فى آثار الصحابة، وكان لكثرة بضاعتهم من الحديث وحفظهم له، وقلة ما يعرض لهم من مستجدات الحوادث فى الحجاز - معقل مدرسة الحديث - أثر كبير فى عدم الحاجة إلى التوسع فى الاستنباط بخلاف ما كان عليه الحال فى العراق.

ومن الممكن القول بأن التشريع الإسلامى فى هذا العصر كان فى دوره الرابع، باعتبار أن الدور الأول كان فى عصر النبى ﷺ، والدور الثانى هو دور الصحابة ويمتد حتى نهاية عصر الراشدين سنة ٤١هـ، والدور الثالث والذى يمتد من سنة ٤١هـ وحتى سقوط الدولة الأموية.

وقد امتاز الدور الثالث بأربعة أمور: اتساع دائرة الفقه/ شيوع رواية الحديث/ بداية ظهور مدرستى أهل الحديث وأهل الرأى/ ارتباط كل بلد بما تلقوه من العلم عن فقهائهم الذين أخذوا عمن استقر عندهم من الصحابة.

ثم يأتى بعد ذلك الدور الرابع والذى يبدأ من أوائل القرن الثانى ويمتد إلى منتصف القرن الرابع، وقد نما الفقه فى هذا الدور نمواً عظيماً، وزود الدولة الإسلامية بكل ما تحتاجه لتنظيم أمورها فى شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وفى هذا الدور ظهر نوابغ الفقهاء، وفيه كان المجتهدون العظام الذين أسسوا مذاهبهم، وتبلورت على أيديهم المدارس الفقهية الموجودة، كما دون فى هذا الدور علم الفقه بصورة متكاملة، وضبطت قواعده، وقعدت أصوله، وجمعت أشتاته. كما دونت السنة تدويناً كاملاً مما ساعد البحث الفقهى أتم المساعدة.

مميزات العصر العلمية:

نستطيع أن نجمل مميزات العصر على وجه الإجمال فيما يلى:

١ - اشتداد الخلاف بين مدرستى الرأى والحديث، ثم استقرار الأمر على اعتبار الرأى مدرسة فقهية صحيحة متى كانت قائمة على أصول محددة بعيدة عن الهوى.

٢ - نهوض الفقه واتساع آفاقه، وظهور العديد من القضايا المستجدة.

٣ - اتجاه الدولة إلى الأخذ ببعض المذاهب المحددة فى القضاء والحكم.

٤ - ازدهار التدوين فى كثير من العلوم.

٥ - ظهور الفقه التقديرى الفرضى، بعد أن كان الفقه واقعياً، لا يبحث عن حكم ما يقع من الحوادث، أما فى هذا العصر فقد تجاوز الفقهاء الواقع إلى فرض وقائع وتقدير نوازل لم تحدث بعد ثم بحث حكمها.

٦ - كثرة الآراء فى المسألة الواحدة، نظراً لتعدد مناهج البحث، وأصول المذاهب.

٤ - طلبه للعلوم ورحلته:

٤ - ١ - البداية:

حفظ الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - القرآن، ولم يتجاوز سبع سنين، وكان يقرأ على إسماعيل بن قسطنطين، وكان شيخ أهل مكة فى زمانه، ثم بدأ طلبه للعلم مبكراً، وعمره نحو عشر سنين، وحبب إليه العلم جداً، فكان يجالس العلماء بمكة، ويحفظ الحديث والمسائل، فيحكى عن نفسه فيقول: جعلت لذتى فى هذا العلم وطلبه حتى رزقنى الله منه ما رزق.

٤ - ٢ - فقر الإمام الشافعى وأثره فى طلبه العلم:

وقد كان الشافعى أول أمره فقيراً لا يجد ما يعطى المعلم، فرضى منه المعلم أن يخلفه فى مجلسه إذا قام ليضبط له الكتاب حتى يعود. فلما ختم القرآن بدأ فى مجالسة العلماء فى المسجد الحرام وتلقى العلم عنهم، وكان لفقره لا يجد ثمن الورق ليكتب فيه. فكان يجمع العظام العريضة ليكتب فيها، ثم يحفظها فى جرة قديمة كانت لديهم.

وقد حال الفقر بين الشافعى - رحمه الله تعالى - وبين الرحلة إلى الإمام الليث بن سعد بمصر، فكان شديد الحزن على ما فاته من لقاء الليث بن سعد إمام مصر فى ذلك العهد، وأحد الأئمة المجتهدين.

ومع هذا فقد كان الشافعى يرى فى الفقر أكبر دافع لتعلم العلم، ويرى أن الغنى من موانع النشاط فى تعلم العلم، ويقول: لا يصلح طلب العلم إلا لمفلس، فقيل: ولا الغنى المكفى؟ فقال: ولا الغنى المكفى.

٤ - ٣ - رحلته إلى المدينة:

ثم رحل - رحمه الله - إلى المدينة للأخذ عن علمائها، فقد كان حفظ موطأ الإمام مالك، وأراد أن يتلقاه عن الإمام مالك نفسه، وقد استصغر الإمام مالك سنه فى أول الأمر، وطلب من الشافعى أن يحضر معه من يقرأ له، فلما سمع قراءة الشافعى أعجب مالك بها جداً، لفصاحة الشافعى وجودة قراءته.

وقد حفظ الشافعى الموطأ وقرأه على الإمام مالك وعمره ثلاث عشرة سنة تقريباً، أى كان ذلك سنة ١٦٣هـ ولازمه حتى وفاته سنة ١٧٩هـ، أى أنه لازم الإمام مالك ست عشرة سنة.

يقول الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - : قدمت المدينة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة؛ لأقرأ على مالك الموطأ، فقال لى: أطلب من يقرأ لك. فقلت: أنا أقرأ لنفسى، فقرأت عليه، فكان ربما يقول لى فى حديث من الأحاديث أعده، فأعيده حفظاً.

٤ - ٤ - رحلته الأولى إلى العراق:

يقول الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - : لما مات مالك كنت فقيراً، فاتفق أن والى اليمن قدم المدينة فكلمه بعض القرشيين فى أن أصحبه، فذهبت معه، واستعملنى فى أعمال كثيرة، وحمدت فيها، والناس أثنوا علىَّ.

ولم يكن عند أمى ما تعطينى ما أتحمل به فرهنت داراً، فتحملت معه.

يقول الشافعى: ووليت نجران، وبها بنو الحارث بن عبد المدان، وموال من ثقيف، وكان الوالى إذا أتاهم صانعوه فأردونى على نحو ذلك فلم يجدوا عندى.

وقد سار الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - فيهم بالعدل، فوشوا به للخليفة فحمل إلى بغداد عاصمة الدولة العباسية سنة ١٨٤ هـ، وأدخل على هارون الرشيد الذى عرف للشافعى قدره ومكانته فأطلقه، وأجازه بخمسين ألفًا. يقول الشافعى: فما وصلت إلى الباب حتى فرقت الخمسين ألفًا على حجاب أمير المؤمنين وبوابيه.

ثم أخذ الشافعى يتصل بالحياة العلمية ببغداد، وكان ذلك أول أخذه لعلم عن علماء بغداد وخاصة الإمام محمد بن الحسن صاحب الإمام أبى حنيفة صاحب المذهب المشهور. وقد أكثر الشافعى من الأخذ على محمد بن الحسن، وتلقى جميع مصنفاته، ودرس مذهب الحنفية دراسة واسعة حتى كان يقوم، ويناظر تلاميذ محمد بن الحسن فى مجلسه.

وقد أقام الشافعى مدة فى بغداد، سافر بعدها عائداً إلى بلده مكة، ليعقد بها أول مجالسه فى الحرم المكى.

٤ - ٥ - الرحلة الثانية والثالثة إلى بغداد:

ثم عاد الشافعى بعد ذلك من مكة إلى بغداد، وذلك سنة ١٩٥هـ، وقد بلغ من العمر خمساً وأربعين سنة، وقد استوى عالماً له منهجه المتكامل، ومذهبه الخاص به.

وقد كان للشافعى فى هذه الرحلة الثانية أثر واضح على الحياة العلمية فى بغداد.

يقول الإمام إبراهيم الحربى (وهو أحد المجتهدين من مدرسة الحديث): قدم الشافعى بغداد ، فى الجامع الغربى عشرون حلقة لأصحاب الرأى، فلما كان فى الجمعة لم يثبت منها إلا ثلاث حلق أو أربع.

وقد مكث الشافعى فى بغداد فى هذه القدمة سنتين، نشر بها مذهبه القديم، وصنف كتابه المسمى بـ«الحُجَّة»، وتخرج به جماعة من الفقهاء. ولازمه فيها أربعة من كبار أصحابه: أحمد بن حنبل، وأبو ثور، والزعفرانى، والكرابيسى.

ثم رجع الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - إلى مكة ليعود إلى بغداد مرة ثالثة وأخيرة فى سنة ١٩٨هـ، إلا أنه لم يمكث فى هذه المرة الأخيرة غير بضعة أشهر عزم فيها على الرحيل إلى مصر.

٤ - ٦ - الرحلة إلى مصر:

غادر الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - بغداد بعد أن نشر بها مذهبه، وترك بها عدداً كبيراً من أصحابه تولوا بعده نشر المذهب، والتصنيف فيه حتى أصبحت لهم مدرسة متميزة خاصة بهم داخل المذهب الشافعى عرفت بمدرسة العراقيين.

وكان الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - يعرف جيداً أحوال مصر قبل قدومه، فقد سأل الربيع عن أهل مصر قبل أن يرحل إليهم فقال الربيع: هم فرقتان، فرقة مالت إلى قول مالك وناضلت عنه، وفرقة مالت إلى قول أبى حنيفة وناضلت عنه.

فقال الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - : أرجو أن أقدم مصر إن شاء الله، فآتيهم بشئ أشغلهم به عن القولين جميعاً. فكان كما قال رحمه الله تعالى.

وكان قد نبغ بمصر عدد من أئمة المالكية، فأول من أدخل مذهب مالك الإمام عبد الله بن وهب، وتبعه كثيرون، كعبد الرحمن بن القاسم، وأشهب بن عبد العزيز، وانتهت إليهما رئاسة المذهب المالكى بمصر، كما كان من أئمة المالكية عبد الله بن الحكم، وابنه

محمد، والذى صحب الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - لما قدم مصر.

وكان بالإضافة إلى المالكية والحنفية يوجد أصحاب الإمام الليث ابن سعد، والذى قال الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - فيه: الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به. وكان الشافعى يتأسف كثيراً على فوات الليث، وقد توفى الليث سنة ١٧٥هـ، وكان الشافعى فقيراً لا يملك نفقة السفر إلى مصر للقائه.

وقد قدم الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - مصر سنة ١٩٩هـ، صاحباً معه من تلاميذه الربيع بن سليمان المرادى، وعبد الله بن الزبير الحميدى، واللذين كانا ملازمين له فى رحلاته، وابتدأ فى إلقاء دروسه بجامع عمرو بن العاص، ومال إليه كثير من المصريين لعربيته وقرشيته، وتحول كثير من أتباع مالك وأبى حنيفة إلى مذهبه، كالإمام البويطى والمزنى.

٥ - نبوغ الشافعى:

٥ - ١ - إجازة الشافعى المبكرة بالإفتاء والتدريس ونحوه:

ظهر نبوغ الإمام الشافعى مبكراً، حتى أذن له شيوخه بالإفتاء وهو ابن خمس عشرة سنة، فلم يكن لطالب العلم حسب النظام العلمى المتبع آنذاك أن يتصدر للتدريس والإفتاء والتصنيف إلا بعد أن يأذن له شيوخه بذلك حين يرونه آهلاً وجديراً بهذا، ولا يتقيدون فى ذلك بسنّ، بل من رأوه أهلاً أجازوه وأذنوا له.

قال له شيخه الإمام مسلم بن خالد الزنجى شيخ مكة المكرمة فى عصره: افت يا أبا عبد الله، فقد - والله - آن لك أن تفتى. والشافعى ابن خمس عشرة سنة.

وهذا هو شيخه محمد بن الحسن صاحب الإمام أبى حنيفة يعرض على الشافعى أحد كتبه، ويجب أن ينظر فيها.

يقول له محمد بن الحسن: وضعت كتاباً على أهل المدينة تنظر فيه؟ فينظر فيه الشافعى ثم يضعه. فيسأله محمد بن الحسن: مالَكَ؟ فيجيب الشافعى: أوله خطأ، على من وضعت هذا الكتاب؟ قال محمد: على أهل المدينة. قال الشافعى: من أهل المدينة؟ قال محمد: مالك بن أنس. قال الشافعى: فمالك رجل واحد، وقد كان بالمدينة فقهاء غير مالك: ابن أبى ذئب والمجاشون، وفلان وفلان. وقال رسول الله ﷺ: المدينة لا يدخلها الدجال، والمدينة لا يدخلها الطاعون، والمدينة على كل بيت منها ملك شاهر سيفه.

٥ - ٢ - نبوغ الشافعى:

لقد جاوز نبوغ الشافعى ما كان يتمناه معاصروه أن يروه فى أحد من العلماء حتى قال أيوب بن سويد الرملى لما رأى الشافعى: ما ظننت أنى أعيش حتى أرى مثل هذا الرجل قط.

وكان يحيى القطان - وهو أحد علماء السنة النبوية البارزين - يقول: «إنى لأدعو الله عز وجل للشافعى فى كل صلاة». يعنى لما فتح الله عز وجل عليه من العلم، ووفقه للسداد فيه.

وقال إسحاق بن راهوية - وهو أحد علماء السنة النبوية البارزين وأحد فقهاء مدرسة الحديث: «كنا بمكة والشافعى، وأحمد بن حنبل - أصحاب المذهب المشهور - بها فقال لى أحمد بن حنبل: يا أبا يعقوب جالس هذا الرجل - يعنى الشافعى - . قلت: ما أصنع به، وسنه قريب من سننا؟ أترك ابن عيينة والمقبرى (وهما من أهم حفاظ الحديث النبوى ورواته فى هذا العصر). فقال أحمد بن حنبل: ويحك

إن ذاك يفوت، وذا لا يفوت فجالسته). يريد الإمام أحمد أنه إذا لم يجالس الشافعى للتعلم يفوته ما عنده، ولا يجد أحداً عنده مثله، بخلاف إذا فاته سماع الحديث من ابن عيينة والمقبرى فإنه يستطيع أن يسمعه من تلاميذهم.

وإنما قال إسحاق بن راهوية: «ما أصنع به وسنه قريب من سننا»؛ لأنه من عادة أهل الحديث أن يقصدوا سماع الحديث ممن كبرت سنه وعلت، حتى يكون رجال الإسناد بينهم وبين رسول الله ﷺ أقل ما يمكن من حيث العدد، وهو ما يسمونه بعلو الإسناد. وعلى سبيل المثال فإن ابن عيينة من شيوخ الشافعى الذين أكثر الشافعى من الأخذ عنهم، فإذا تواجد الاثنان فى بلدة واحدة كما فى القصة السابقة، كان من الأفضل من حيث الإسناد أن تذهب لابن عيينة للسماع منه فتكون قد ساويت الشافعى فى شيوخه، بينما إذا ذهبت إلى الشافعى تكون قد زدت على نفسك رجلاً فى الإسناد، وأصبح إسنادك نازلاً كما يسميه علماء الحديث، لكن لما كان عند الشافعى من الفقه والعلم ما ليس عند ابن عيينة حبذ الإمام أحمد الأخذ عن الشافعى، وإن كان الإسناد سيصبح نازلاً.

نستطيع فى ضوء هذا أن نقرأ الواقعة التالية: سافر الإمام أحمد للحج، فلما كان بمكة خرج يوماً باكراً، فطلبه أحد أصحابه فى مجلس ابن عيينة وعنده ابن الزهرى وعمرو بن دينار وزياد بن علاقة والتابعين ما الله به عليم (يعنى عنده من حديثهم الذى يروونه عن الصحابة عن النبى ﷺ). فقال لى أحمد: اسكت، فإن فاتك حديث بعلوه تجده بنزول؛ لا يضرك فى دينك، ولا فى عقلك،وإن فاتك أمر هذا الفتى أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة، ما رأيت أحداً أفقه فى كتاب الله من هذا الفتى القرشى. قلت من هذا؟ قال: محمد بن

إدريس الشافعى.

وقد كان الإمام أحمد لا يدع أحداً من أصحابه إلا ودله على الإمام الشافعى، فها هو يدل عليه الإمام إسحاق بن راهوية، وكذلك يدل الإمام الحميدى. يحكى الحميدى - وهو أيضاً من أئمة الحديث وكان مكياً - فيقول: «كان أحمد بن حنبل قد أقام عندنا بمكة على سفيان بن عيينة. فقال لى ذات يوم: ههنا رجل من قريش له بيان ومعرفة. فقلت له: فمن هو؟ قال: محمد بن إدريس الشافعى. وكان أحمد بن حنبل قد جالسه بالعراق، فلم يزل بى حتى أجتذبنى إليه».

فلما ذهب الحميدى إلى الشافعى أعجب به جداً، وأصبح من كبار أصحابه، وأخذ يدعو الناس إلى مجالسته والأخذ عنه حتى أصبح مجلس الشافعى يقرب من مجلس سفيان بن عيينة، فقد كان الشافعى أول الأمر يجلس جانباً بالحرم المكى، بينما يجلس ابن عيينة بصدر الحرم. يحكى لنا الحميدى ذلك فيقول: وكان كلامه وقع فى قلبى، فجالسته، فغلبتهم عليه (يعنى أصبحت أقرب إليه من أصحابه القدامى)، فلما نزل تقدم مجلس الشافعى، حتى كان يقرب مجلس سفيان بن عيينة.

ولكن هذا هو شيخ الشافعى: الإمام سفيان بن عيينة نفسه يرجع إلى تلميذه النجيب الشافعى يسأله عن فقه حديث رواه، يقول إبراهيم بن محمد: كنا فى مجلس ابن عيينة - والشافعى حاضر - فحدث ابن عيينة أن النبى ﷺ مر به رجل فى بعض الليل، وهو مع امرأته صفية، فقال ﷺ: تعال، هذه امرأتى صفية. فقال: سبحان الله! يا رسول الله. قال ﷺ : إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم. فقال ابن عيينة للشافعى: ما فقه هذا الحديث با أبا عبد الله. قال: إن كان القوم اتهموا النبى ﷺ: كانوا بتهمتهم إياه كفاراً، لكن النبى ﷺ

أدب من بعده فقال: إذا كنتم هكذا فافعلوا هكذا، حتى لا يظن بكم ظن السوء؛ لأن النبى ﷺ يُتهم؛ وهو أمين الله عز وجل فى أرضه، فقال ابن عيينة: جزاك الله خيراً يا أبا عبد الله ما يجيئنا منك إلا كلَّ ما نحبه.

ولم يكن سفيان بن عيينة قليل القدر فى الفقه والعلم ولكنه أدب العلماء الذى جعله يعطى كل ذى حق حقه، وكان من أدب سفيان ابن عيينة أنه كان لا يحب الفتيا، حتى إن الشافعى كان يقول: ما رأيت أحداً من الناس فيه من آلة العلم ما فى سفيان بن عيينة، وما رأيت أحداً أكف عن الفتيا منه، وما رأيت أحداً أحسن لتفسير الحديث منه.

ويقول الإمام أحمد بن حنبل: كانت أقفيتنا أصحاب الحديث

فى أيدى أصحاب أبى حنيفة ما تنزع(١)، حتى رأينا الشافعى، وكان أفقه الناس فى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

٦ - شيوخه وتلاميذه:

٦ - ١ - شيوخه:

أخذ الشافعى القرآن على إسماعيل بن قسطنطين شيخ أهل مكة فى زمانه بقراءة ابن كثير.

وأخذ العلم عن شيوخ مكة منهم: سفيان بن عيينة إمام أهل الحديث، ومسلم بن خالد الزنجى فقيه مكة، وسعيد بن سالم القداح، وداود بن عبد الرحمن العطار، وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى

(١) كناية عن تسلط أصحاب أبى حنيفة على أصحاب الحديث، بسبب ضعف أصحاب الحديث فى الفقه، فربما رووا الحديث فلا يحسنون فهمه، ولا معرفة أحكامه، فيتسلط عليهم أصحاب أبى حنيفة.

داود.

كما لازم الإمام مالك بالمدينة سنين حتى توفى سنة ١٧٩هـ.

وأخذ بالمدينة أيضاً عن إبراهيم بن سعد الأنصارى، وعبد العزيز ابن محمد بن الدراوردى، وإبراهيم بن أبى يحيى الأسلمى، ومحمد بن سعيد بن أبى فديك، وعبد الله بن نافع الصائغ صاحب ابن أبى ذئب.

ولما سافر لبغداد فى المرة الأولى أخذ عن: محمد بن الحسن الفقيه صاحب أبى حنيفة، ووكيع بن الجراح، وعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى، وأبو أسامة حماد بن أسامة الكوفى، وإسماعيل بن علية، وهؤلاء الأربعة من حفاظ الحديث النبوى.

٦ - ٢ - أصحابه وتلاميذه:

من أصحاب الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - الإمام أحمد بن حنبل، وقد رأينا فيما سبق كيف كان حب الإمام أحمد للشافعى، وحرصه على حضور مجالسه، وحث أصحابه على حضورها.

وكان الإمام أحمد يحب المكث مع الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - ، فيقول للحسن بن محمد الصباح: إذا رأيت أبا عبد الله الشافعى قد خلا فأعلمنى، قال: وكان يجيئه إذا ارتفع النهار فيبقى معه.

وقد كان الحب بينهما متبادلاً، وكان الإمام الشافعى بعد أن استقر بمصر يتمنى قدوم الإمام أحمد ويقول وعدنى أحمد بن حنبل أن يقدم على مصر.

ولكن يبدو أن خفة ذات يد الإمام أحمد وفقره منعته من الوفاء بوعده للإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - .

ومن أصحابه: أبو بكر الحميدى، والذى كان من حفاظ الحديث، فكان لأهل مكة، كأحمد بن حنبل لأهل العراق.

ومن أصحابه: أبو الوليد المكى موسى بن أبى الجارود، راوى كتاب الأمالى عن الشافعى.

ومن أصحابه: الإمام الجليل أبو يعقوب البويطى، وهو أكبر أصحاب الشافعى المصريين.

ومن أصحابه: الإمام الجليل أبو إبراهيم المزنى، ناصر مذهب الشافعى، وصاحب المختصر المشهور بمختصر المزنى.

ومن أصحابه: الإمام الجليل الربيع بن سليمان المرادى، راوية كتب الإمام الشافعى.

ومن أصحابه: الإمام الجليل أبو ثور إبراهيم بن خالد البغدادى، وكان من العلماء المجتهدين.

٦ - ٣ - علاقته بتلاميذه:

كان للشافعى طريقته المتميزة فى تربية تلاميذه، وكان حريصاً أشد الحرص على تنمية روح الاجتهاد والاستقلال فى نفوسهم.

وكان يقول لهم: كل ما قلت لكم فلم تشهد عليه عقولكم وتقبله وتره حقاً فلا تقبلوه؛ فإن العقل مضطر إلى قبول الحق.

وكان الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - ينهى تلاميذه أشد النهى عن التقليد سواء له أو لغيره.

يقول الإمام المزنى فى مقدمة المختصر المشهور فى الفقه: أختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن إدريس الشافعى رحمه الله ومن معنى قوله، لقربه على من أراده، مع إعلامية نهيه عن تقليده،

وتقليد غيره لينظر فيه لدينه، ويحتاط فيه لنفسه، وبالله التوفيق.

ولهذا فإن الراصد لطبقات علماء الشافعية يجدهم قد فاقوا سائر المذاهب الأخرى فى عدد من وصل منهم لرتبة الاجتهاد، حتى إنه لا تكاد تخلو طبقة منهم من مجتهد أو أكثر، مما يعنى أن سلاسل المذهب وأسانيده متصلة بالمجتهدين فى طبقاتها جميعاً، وهذه منقبة عظيمة(١).

ويكلم الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - تلميذه يونس بن عبد الأعلى مرة فى مسألة، فيتراجعان فيها، فيقول الشافعى: إنى لأجد فرقانها فى قلبى، وما أقدر أن أبينه بلسانى.

وكان الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - يشجع تلاميذه على التفكير ويحثهم عليه بشتى الوسائل ويجعل لهم الجوائز المالية لمن أصاب منهم، يقول الحميدى: كان الشافعى ربما ألقى علىَّ وعلى ابنه أبى عثمان المسألة فيقول: أيكما أصاب فله دينار.

وكان شديد الحب لأصحابه واسع الجود معهم، يقضى لهم حوائجهم ويساعدهم فى أمورهم، وقد ذكرنا فى باب صفات الشافعى تحت صفة الجود الكثير من المواقف.

وقد بلغ حب الشافعى من نفوس أصحابه مبلغاً كبيراً، فكانوا لا

---

(١) قال ولى الله الدهلوى فى الأنصار بيان أسباب الاختلاف ص٨٥ . وأما مذهب الشافعى فأكثر المذاهب مجتهداً مطلقاً ومجتهد أخر المذهب وأكثر المذاهب أصولياً ومتكلماً وأوفرها تفسير القرأن وشارحا للحديث وأسندها إسناد أو رواية وأقواها ضبطاً النصوص الإمام، وهذا الحق الذى لامرية فيه نقله العلامة المنصف عبد الحى اللكنونى فى مقدمة النافع الكبير ص٩ من تعلقيات الشيخ محمود سعيد كتابه الشذ الفواح فى أخبار سيدى الشيخ عبد الفتاح ص٢٦.

يتوانون عن نشر مذهبه وقراءة كتبه من بعده حرصاً منهم على نشر علم الشافعى بين الناس لينتفعوا به.

يقول الربيع بن سليمان المرادى: كتب إلىَّ أبى يعقوب البويطى وهو فى السجن (وكان البويطى قد أخلفه الشافعى فى مجلسه بعده، فلما سجن البويطى جلس مكانه الربيع بن سليمان المرادى راوية كتب الشافعى): يسألنى أن أصبر نفسى للغرباء ممن يسمع كتب الشافعى ويسألنى أن أحسن خلقى لأصحابنا الذين فى الحلقة، والاحتمال منهم، ويقول لم أزل أسمع الشافعى كثيراً يردد هذا البيت:

أهين لهم نفسى فَهُمْ يكرمونها ولن تُكرم النفس التى لا تهينها

٧ - مذهبه الفقهى:

٧ - ١ - أهمية مذهب الشافعى:

لمذهب الشافعى أهمية كبيرة وانتشار واسع من عصر الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - ، وإلى يومنا هذا.

ولعلماء المذهب الشافعى أثر بالغ فى تاريخ العلوم الإسلامية قاطبة ، والمؤلفون فى شتى العلوم بين علماء هذا المذهب فى غاية الكثرة، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾(١)،بل لو أراد طالب علم منتسب إلى مذهب الشافعى ألا يتعلم العلوم الإسلامية إلا من خلال مؤلفات وضعها علماء شافعية لتيسر له ذلك تماماً، ودون أدنى مشقة.

ولآراء الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - قيمتها الخاصة منذ كانت؛ يقول حميد بن أحمد البصرى: كنت عند أحمد بن حنبل، نتذاكر فى مسألة، فقال رجل لأحمد: يا أبا عبد الله، لا يصح فيه حديث.

(١) الجمعة: ٤

فقال: إن لم يصح فيه حديث، ففيه قول الشافعى، وحُجته أثبت شئ فيه. ثم قلت للشافعى: ما تقول فى مسألة كذا وكذا؟ فأجاب فيها قلت: من أين قلت؟ هل فيه حديث أو كتاب (يعنى قرآن). قال الشافعى: بلى، فنزع فى ذلك حديثاً للنبى ﷺ، وهو حديثٌ نصٌ فى المسألة.

وهكذا نجد فى هذا الموقف أن الشافعى أكثر استحضاراً لنصوص الكتاب والسنة، وأكثر قدرة فى الاستدلال بها من كبار حفاظ الحديث.

ومذهب الشافعى أقل خطأ وأكثر اتباعاً للكتاب والسنة، هكذا كان يراه معاصروه، من كبار أئمة ذلك الوقت، والذين اتصلوا بكافة المذاهب الموجودة فى ذلك الوقت.

ويقول الإمام إسحاق بن راهوية (قرين الإمام أحمد بن حنبل وأحد المجتهدين): ما تكلم أحد بالرأى - وذكر الثورى، والأوزاعى، ومالكاً، وأبا حنيفة، إلا والشافعى أكثر اتباعاً، وأقل خطأ منه.

٧ - ٢ - مذهب الشافعى واتباعه للسنة النبوية:

لعل هذه الخصيصة من أهم خصائص مذهب الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - .

يقول الإمام أحمد: ما من أحد وضع الكتب منذ ظهرت (يعنى فى الإسلام) أتبع للسنة من الشافعى.

يقول الإمام أحمد هذا، وقد سبق الإمامَ الشافعى إلى التأليف أمثال الزهرى، ومالك، وأبى حنيفة، والأوزاعى، وغيره من مصنفى العلماء.

يقول الإمام أحمد: كان الشافعى إذا ثبت عنده الخبر قلده.

ويحكى الإمام الربيع بن سليمان المرادى أن الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - روى حديثاً ذات يوم، فقال له رجل: تأخذ بهذا يا أبا عبد الله. فقال الشافعى: سبحان الله! أروى عن رسول الله ﷺ شيئاً لا آخذ به، متى عرفت لرسول الله ﷺ حديثاً، ولم آخذ به: - فأنا أشهدكم أن عقلى قد ذهب.

ومن المشهور حرص الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - على اتباع السنة النبوية، وتنبيهه على أصحابه ألا يتبعوه فى أى مسألة خالف فيها حديثاً صحيحاً لم يبلغه وبلغهم.

يقول الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - : كل ما قلت وكان عن النبى ﷺ خلاف قولى مما يصح فحديث النبى ﷺ أولى، ولا تقلدونى.

وكان الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - يقول: كل حديث عن النبى ﷺ فهو قولى، وإن لم تسمعوه منى.

ومن جهة أخرى فإن الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - قد بلغ الغاية فى إتقان رواية الحديث، وكان من أجل حفاظه حتى عد علماء الحديث أشرف الأسانيد فى الدنيا ما رواه الشافعى عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبى ﷺ.

٧ - ٣ - مذهب الشافعى بين مدرسة الرأى وأهل الحديث:

انقسم الفقهاء فى عصر الشافعى وما قبله إلى مدرستين: فقهاء مدرسة الرأى، وعلى رأسها الإمام أبو حنيفة وأصحابه، ومدرسة الحديث، وعلى رأسها الإمام مالك وأصحابه، وكان كل منهما يمثل مدرسة مستقلة لها علماؤها ورموزها، ومنهجها الخاص فى استنباط الأحكام الشرعية.

وكان الجدال قد بلغ أشده بين هاتين المدرستين، خاصة والعلوم الشرعية كانت مازالت فى طور النشوء، ولما تستقر مناهجها بعد.

وقد أخذ الشافعى العلم من أئمة المدرستين معاً، وأحسن تلقيهما وفهمهما، فأخذ عن رموز مدرسة الحديث، كالإمام مالك، ومسلم ابن خالد الزنجى.

وأخذ عن رموز مدرسة الرأى، كربيعة الرأى بن عبد الرحمن، كما تلقى الشافعى مذهب الحنفية - كما تقدم - عن محمد بن الحسن صاحب الإمام أبى حنيفة، وأنفق الشافعى - على فقره - مبالغ كبيرة فى تحصيل نسخ من مؤلفات الإمام محمد بن الحسن، فلما حصلها أخذ فى تدبرها، يقول الشافعى: «فوضعت إلى جنب كل مسألة حديثاً»، يعنى من المسائل التى يرى الشافعى أنها مخالفة للسنة النبوية.

وقد كان للشافعى دور بالغ الأهمية فى حسم الجدل الفقهى الذى كان دائراً بين هاتين المدرستين الفقهيتين السائدتين فى هذا الوقف، حيث يسر له الجمع بين المدرستين من القيام بدور كبير فى حسم الجدل الدائر، وترجيح القواعد والأصول الفقهية.

ولكن لم ينشئ الشافعى مدرسة مستقلة، بل هو معدود من أئمة مدرسة الحديث، ومن الممكن القول بأن دوره تمثل فى التخلص من المآخذ التى كانت تؤخذ على شيوخ الحديث، وسد نقاط الضعف التى كانت تؤخذ عليهم، وفى نفس الوقت الذى استطاع فيه تحصيل نقاط القوة التى كان يمتاز بها أئمة مدرسة الرأى مع مجانبة المآخذ التى تؤخذ عليهم أيضاً.

وكان الشافعى لا ينى فى الدفاع عن مدرسته الحديثية، يقول الشافعى: قال لى محمد بن الحسن: أيهما أعلم صاحبنا أو صاحبكم؟ يعنى مالكاً وأبا حنيفة.

قلت: على الإنصاف؟ قال: نعم. قلت: فأنشدك بالله. من أعلم بالقرآن: صاحبنا أم صاحبكم؟ قال: صاحبكم.

قلت: فمن أعلم بالسنة، صاحبنا أم صاحبكم؟ قال: اللهم صاحبكم.

قلت: فأنشدك الله: من أعلم بأقاويل أصحاب رسول الله ﷺ والمتقدمين: صاحبنا أم صاحبكم؟ قال: صاحبكم.

قال الشافعى: فلم يبق إلا القياس، والقياس لا يكون إلا على هذه الأشياء، فمن لم يعرف الأصول على أى شئ يقيس.

وقد كان أئمة مدرسة الحديث بحاجة شديدة إلى من يقوم بهذا الدور الذى قام به الشافعى.

يقول الحميدى - وهو أحد أئمة الحديث النبوى المبرزين - : كنا نريد أن نرد على أصحاب الرأى، فلم نحسن كيف نرد عليهم؛ حتى جاء الشافعى ففتح لنا.

وذلك لما كان عليه شيوخ أهل الحديث فى هذه الفترة من الضعف الفقهى، حتى كان أصحاب الرأى يسخرون من ضعف أهل الحديث فى الفقه، وعدم قدرتهم على استنباط الأحكام مما يرونه.

يقول أبو ثور: لما ورد الشافعى العراق جاءنى حسين الكرابيسى - وكان يختلف معى إلى أصحاب الرأى - فقال:

ورد رجل من أصحاب الحديث يتفقه، فقم بنا نسخر به. فقمت، وذهبنا حتى دخلنا عليه فسأله الحسين عن مسألة: فلم يزل الشافعى يقول: قال الله، وقال رسول الله ﷺ؛ حتى أظلم علينا البيت، فتركنا بدعتنا، واتبعناه.

والإمامان أبو ثور وحسين الكرابيسى معدودان فى كبار أصحاب

الشافعى الذين نقلوا عنه المذهب.

وكما رأينا فقد كان للشافعى أثر كبير فى توجه كثير من الأئمة إلى مذهب أهل الحديث، بعد أن كانوا من أئمة مدرسة الرأى.

يقول أبو ثور أيضاً: كنت أنا وإسحاق بن راهوية، وحسين الكرابيسى - وذكر جماعة من العراقيين - ما تركنا بدعتنا حتى رأينا الشافعى.

٧ - ٤ - أطوار المذهب الشافعى:

مرَّ المذهب الشافعى بعدة أطوار:

أ - طور الإعداد والتكوين: ابتدأ هذا الطور بعد وفاة الإمام مالك سنة ١٧٩هـ، واستمر فترة طويلة حيث استغرق حوالى ستة عشر عاماً إلى أن قدم الشافعى إلى بغداد للمرة الثانية ١٩٥ هـ.

ب - طور الظهور للمذهب القديم: احتلت هذه المرحلة الفترة الزمنية من وقت قدوم الشافعى بغداد المرة الثانية سنة ١٩٥هـ إلى رحيله إلى مصر سنة ١٩٩هـ.

ج - طور النضج والاكتمال لمذهبه الجديد: وبدأ بقدومه إلى مصر سنة ١٩٩هـ، وحتى وفاته رحمه الله تعالى سنة ٢٠٤هـ.

د - طور التخريج والتذييل: ابتدأ هذا الطور من بعد وفاة الإمام الشافعى، وشغل فترة طويلة امتدت حتى منتصف القرن الخامس الهجرى، وربما وصل به بعض الباحثين إلى القرن السابع الهجرى.

وفى هذا الطور نشط الأصحاب والمجتهدون فى المذهب إلى استخراج المسائل من أصوله، وتوجيه أقواله، وتخريج المسائل على قواعده.

هـ - طور الاستقرار: حيث استقرت مدارس المذهب، وقام

العديد من العلماء بوضع الكتب الفقهية الواسعة التى تجمع بين مدارس ومناهج الشافعية المختلفة، والترجيح بينها، ثم وضع الكتب المختصرة فى المذهب التى تشمل على الراجح فى المذهب، وشرح هذه المختصرات بطريقة مدرسية.

٧ - ٥ - بين القديم والجديد:

اشتهر أن الشافعى رجع عن مذهبه القديم إلى مذهبه الجديد لما قدم إلى مصر بسبب ما رآه بها من اختلاف العادات.

ورغم اشتهار هذا الرأى بين عموم المثقفين، وكثير من المتخصصين إلا أنه بعيد عن الواقع بالفعل.

ولو كان الأمر كذلك لبقى أصحاب الشافعى بالعراق على مذهبه القديم لكونه أنسب لبلدهم.

والمتتبع للمسائل التى خالف فيها القديم الجديد: يجد أن البحث فيها متعلق بالترجيح من حيث الدليل.

كما أن المسائل التى رأى فيها فقهاء الشافعية أن القديم أرجح فيها من الجديد: إنما رأوا ذلك لرجحان دليل القديم، لا لكونهم عراقيين.

سئل الإمام أحمد: ما ترى فى كتب الشافعى التى عند العراقيين، أحب إليك أو التى بمصر؟ قال: عليك بالكتب التى وضعها بمصر؛ فإنه وضع هذه الكتب بالعراق، ولم يُحكمها، ثم رجع إلى مصر، فأحكم تلك.

ويقول عمرو بن سواد السرحى: قال لىَّ الشافعى: ما لك لا تكتب كتبى. فسكت. فقال له رجل: إنه يزعم أنك كتبت، ثم غيرت. ثم كتبت، ثم غيرت. فقال الشافعى: الآن حمى الوطيس.

يريد الشافعى: قد تعين شرح جلية الأمر، وتحتم الكشف عن حقيقة السر، وذلك أن المجتهد إذا ما صح الدليل لديه وجب عليه العمل بموجبه، فإذا تبين له بعد ذلك دليل أقوى منه يدل على خلاف حكمه الأول وجب عليه الرجوع عن الحكم الأول إلى الحكم الثانى، فالتغيير لم ينشأ عن شك واضطراب، بل عن بحث واجتهاد وتحرٍّ للصواب.

٧ - ٦ - المذهب الجديد:

عن بحر بن نصر الخولانى المصرى قال: قدم الشافعى من الحجاز، فبقى بمصر أربع سنين، ووضع هذه الكتب فى أربع سنين ثم مات.

٧ - ٧ - أسس المذهب:

١ - اتباع الكتب والسنة:

تقدم بيان اتباع الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - للسنة النبوية الشريفة حتى أنه قال: كل حديث عن النبى ﷺ فهو قولى، وإن لم تسمعوه منى.

٢ - اتباع الحق والدليل:

وهذه من أهم مميزات مذهب الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - فما كان يحول بينه وبين اتباعه للدليل حائل من متابعة عمل أهل بلده، أو تقليد أحد من الأئمة السابقين عليه، فنجد مثلاً الإمام مالك يرى عمل أهل المدينة حُجة يأخذ بها ولا يدعه لمرويات أحد من أهل البلاد الأخرى، ويرى أن عمل أهل المدينة هو آخر الأمر من رسول الله ﷺ. بينما كان الإمام أبو حنيفة يأخذ بما كان عليه أهل بلده بالعراق، ولا يخالفهم.

يقول الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - للإمام أحمد بن حنبل:

أنتم أعلم بالحديث والرجال منى، فإذا كان الحديث صحيحاً فأعلمونى: كوفياً كان أو بصرياً أو شامياً؛ حتى أذهب إليه إن كان صحيحاً.

٣ - الاهتمام بأقوال الصحابة:

حيث كان الشافعى يرى أن أقوال الصحابة فيما اتفقوا عليه حجة أما إذا اختلف الصحابة فى مسألة فيحتاج الأمر إلى الترجيح بينهم بدليل آخر.

ويرى الشافعى أنه إذا انفرد الصحابى بقول ولم يوجد فى المسألة نص من الكتاب أو السنة فإن هذا القول أولى من القياس.

وإذا كان قول الصحابى فى الأمور التى فيها مجال للاجتهاد، فقد رأى الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - أن قول الصحابى ليس بحجة على غيره من المجتهدين.

٤ - الأخذ بالقياس:

وقف الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - فى القياس موقفاً وسطاً، فلم يتشدد فيه تشدد الإمام مالك، ولم يتوسع فيه توسع الإمام أبى حنيفة. ومع هذا فكان الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - يرى للقياس أهمية كبيرة فى العملية الفقهية، حتى جعله هو والاجتهاد بمعنى واحد وكان رحمه الله تعالى يقول: الاجتهاد القياس.

٥ - اعتبار الأصل فى الأشياء:

من الأسس التى بنى عليها الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - مذهبه فيما لم يرد فيه نص أن الأصل فى المنافع الإباحة، والأصل فى المضار التحريم.

٦ - الاستصحاب:

وهو عبارة عن ثبوت أمر فى الزمان الثانى بما على ثبوته فى الزمان الأول. فإذا عرفنا حكماً من الأحكام فى الزمن الماضى، ولم يظهر لنا ما يدل على عدمه، حكمنا الآن فى الزمان الثانى بأنه لازال باقياً على ما كان عليه؛ لأنه لم يظن عدمه، وكل ما كان كذلك فهو مظنون البقاء.

ومن ذلك مثلاً أن الأصل براءة ذمة الإنسان حتى يقوم الدليل على شغلها بواجب أو حق عليه، فنستصحب هذه البراءة فيما لو اتهم إنسان بدين أو حق يتعلق بذمته، ولا بينة عليه، فنستصحب الأصل فى براءة ذمته.

٧ - الاستقرار:

وهو عبارة عن تتبع أمور جزئية ليحكم بحكمها على أمر يشتمل على تلك الجزئيات، حيث يستدل بإثبات الحكم للجزئيات بعد تتبع حالها على ثبوت الحكم الكلى لتلك الجزئيات، وبواسطة ثبوته للكلى يثبت للصورة المتنازع فى حكمها.

ومثاله الاستدلال على أن الوتر مندوب وليس بواجب بأن الوتر يؤدى على الدابة فى السفر، وقد ثبت بتتبع أحوال النبى ﷺ أنه ما كان يصلى الفرائض على الدابة، وإنما كان يصلى النوافل فقط، فلما صلى الوتر على الدابة علمنا أنه مندوب، وحملنا ما روى مما يوهم ظاهره وجوب الوتر على تأكيد الاستحباب.

٨ - الأخذ بأقل ما قيل:

حيث يرى الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - أن نأخذ بأقل ما قيل فى المسألة، إذا كان الأقل جزءاً من الأكثر، ولم يجد دليلاً غيره.

فهذا الأصل عند الإمام الشافعى يستعمله عند عدم وجود دليل آخر فى المسألة، فيعمل به، لأنه قد حصل الإجماع الضمنى على الأقل.

ومثاله دية الذمى. فقد اختلف العلماء فيها على ثلاثة أقوال:

فقيل: إنها ثلث دية المسلم.

وقيل: إنها نصف دية المسلم، وهو مذهب المالكية.

وقيل: إنها كدية المسلم، وهو مذهب الحنفية.

فأخذ الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - بالثلث، بناء على أن الثلث أقل ما قيل فى المسألة، وهو مجمع عليه، لأنه مندرج ضمن قول من أوجب النصف، أو الكل، والأصل براءة الذمة بالنسبة لمن سيدفع الدية، فلا يجب عليه شئ إلا بدليل يوجب الزيادة على الثلث، وإنما أوجبنا عليه الثلث للإجماع.

فهذه هى الأدلة التى بنى عليها الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى-، بالإضافة إلى ما قرره من قواعد فى استثمار الأحكام من ألفاظ النصوص الشرعية، كقواعد العام والخاص، والمجمل والمبين، والمطلق والمقيد.

وعلى الجانب الآخر فقد رفض الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - بعض الأدلة التى قام بها غيره من الأئمة، حيث رأى الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - أنها ضعيفة، لا يصح الاستدلال بها.

١ - فمما رده من الأدلة: المصالح المرسلة:

فقد قبل الإمام مالك المصلحة المرسلة التى لم يرد عن الشارع اعتبارها أو إلغاؤها. فمن ذلك أنه يجوز عند الإمام مالك ضرب المتهم بالسرقة حتى يقر.

ولكن رد الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - هذا الدليل، ولم ير الأخذ به، وتابعه على ذلك جمهور العلماء.

٢ - ومما رده الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - من الأدلة:

الاستحسان:

فقد رأى الحنفية العمل بالاستحسان، وهو ترجيح القياس الخفى على القياس الجلى فى بعض المسائل(١).

ومن ذلك تصحيح الحنفية بيع المعاطاة (بأن يأخذ المشترى بضاعته من البائع ويعطيه الثمن دون التعاقد باللفظ على ذلك) لاطراد عرف الناس وعاداتهم على التعامل، فالاعصار لا تنفك عنها، ويغلب على الظن جريانها فى عهد النبى ﷺ، فجاز العمل بها استحساناً.

ورد الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - المعاطاة لمخالفتها لعموم الأدلة والقياس التى توجب التعاقد فى عملية البيع، وتشترط الإيجاب والقبول.

وليس المراد بالاستحسان: التشريع تبعاً للهوى واستحساناً له دون دليل شرعى، فهذا أمر اتفق الأئمة جميعاً على إبطاله ورده.

٣ - ومما رده الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - : القول بعمل أهل المدينة:

فقد ذهب الإمام مالك إلى أن عمل أهل المدينة فيما أجمعوا عليه حجة؛ لأنه الآخر من عمل النبى ﷺ.

ورد الشافعى هذا الدليل: لأن الصحابة قد انتشروا فى البلدان

---

(١) الذى حرره لى شيخنا الجليل أن الخلاف فى ترجيح الدليل الجلى على الخفى لا القياس.

مع الفتوح، وحمل كل منهم عن النبى ﷺ العلم الكثير ونشره فى البلاد، فليس العلم بما كان من أمر النبى ﷺ مقتصراً على أهل المدينة.

٤ - ومن الأدلة المردودة فى مذهب الشافعى: شرع من قبلنا:

فقد ذهب بعض العلماء إلى أننا متعبدون بما صح من شرائع من قبلنا، بطريق الوحى إلى النبى ﷺ بما فى شرعهم، لا بطرق كتبهم المبدلة.

ولكن رد الشافعية هذا القول، لأن الإسلام قد نسخ كل الشرائع التى قبله، فلم يبق فيها حُجة.

٨ - الشافعى وعلم الأصول:

من المشهور أن الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - هو واضع علم الأصول.

يقول الإمام حسين الكرابيسى (أحد الفقهاء الكبار) وقد سئل عن الشافعى، فقال: ما أقول فى رجل ابتدأ فى أفواه الناس: الكتاب والسنة والاتفاق (يعنى أول من أطلق هذه العبارة)، ما كنا ندرى ما الكتاب والسنة - نحن ولا الأولون - حتى سمعنا من الشافعى الكتاب والسنة والإجماع.

٩ - مصنفات الشافعى:

٩ - ١ - أهميتها:

لمؤلفات الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - أهميتها البالغة لا بالنسبة إلينا كجزء من تراثنا الفقهى، بل لها أهميتها الراسخة منذ وضعت.

يسافر ابن وارة إلى مصر ثم يرجع إلى بغداد فيسأله أحمد: أكتبت كتب الشافعى؟ قال: لا. فقال: فرطت، ما علمنا المجمل من المفصل، ولا ناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه حتى جالسنا الشافعى. قال: ما ترى من الكتب أن أنظر فيه ليفتح لى الآثار: رأى مالك أو الثورى أو الأوزاعى. فقال أحمد: عليك بالشافعى فإنه أكثرهم صواباً. قال: فما ترى فى كتب الشافعى التى عند العراقيين، أحب إليك أو التى بمصر؟ قال: عليك بالكتب التى وضعها بمصر؛ فإنه وضع هذه الكتب بالعراق، ولم يحُكمها، ثم رجع إلى مصر، فأحكم تلك. قال ابن وارة: فلما سمعت ذلك من أحمد عزمت على الرجوع إلى مصر.

بل كان اعتماد الإمام أحمد فى الفقه عليها، حتى قال: لم أنظر فى كتاب أحد ممن وضع كتب الفقه غير الشافعى.

وبلغ من أهمية كتب الشافعى أن الإمام إسحاق بن راهوية تزوج امرأة أرمل بمدينة مَرو، لم يتزوجها إلا لأن زوجها الأول كان عنده كتب الشافعى. وقد أثرت مصنفات الشافعى فى المؤلفين من عصره وإلى يومنا هذا، فهذا الإمام إسحاق بن راهوية يضع جامعه الكبير على كتاب الشافعى، ويتبع أثر الشافعى فيه.

فمما ألفه الإمام الشافعى أو جمعه أصحابه له:

١ - الأم (مطبوع).

٢ - جامع المزنى الكبير.

٣ - جامع المزنى الصغير.

٤ - مختصر المزنى(مطبوع).

٥ - مختصر الربيع.

٦ - مختصر البويطى.

٧ - كتاب حرملة.

٨ - كتاب الحجة وهو المذهب القديم.

٩- الرسالة الجديدة (مطبوع).

١٠- الرسالة القديمة.

١١- الأمالى.

١٢- الإملاء.

١٣- أحكام القرآن (مطبوع).

١٤- مسند الشافعى (مطبوع).

١٥- السنن للشافعى (مطبوع).

١٦- كتاب ما اختلف فيه أبو حنيفة وابن أبى ليلى أو كتاب اختلاف العراقيين (مطبوع).

١٧- كتاب اختلاف على وابن مسعود (مطبوع).

١٨- كتاب اختلاف مالك والشافعى.

١٩- كتاب جماع العلم (مطبوع).

٢٠- كتاب صفه نهى رسول الله (مطبوع).

٢١- كتاب إبطال الاستحسان (مطبوع).

٢٢- كتاب الرد على محمد بن الحسن (مطبوع).

٢٣- كتاب القرعة (مطبوع).

٢٤- كتاب اختلاف الحديث (مطبوع).

كما جمعت أشعار الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - فى ديوان مستقل مطبوع عدة طبعات.

٩ - ٢ - طريقة تصنيفه:

عن بحر بن نصر الخولانى المصرى قال: وكان الشافعى أقدم معه من الحجاز: كتب ابن عيينة، وخرج إلى يحيى بن حسان (وهو صاحب الإمام الليث بن سعد) فكتب عنه، وأخذ كتباً من أشهب بن عبد العزيز (صاحب الإمام مالك)، فيها آثار، وكلام من كلام أشهب. وكان يضع الكتب بين يديه ويصنف الكتب، فإذا ارتفع له كتاب (أى فرغ من تصنيفه): جاءه صديق له يقال له ابن هرم، فيكتب، ويقرأ عليه البويطى فى كتاب ابن هرم، وجميع من يحضر يسمع، ثم ينسخونه بعد، وكان الربيع على حوائج الشافعى (يقوم بقضائها وتحصيلها له)، فربما غاب فى حاجة فيعلم له الشافعى، فإذا رجع قرأ الربيع عليه ما فاته.

٩ - ٣ - دقتها العلمية:

حرص الشافعى فى تصانيفه أن لا يذكر الكلام مرسلاً بل مؤيداً بالدليل، والحُجة.

وكان - رحمه الله تعالى - يحط من شأن من لا يسألون عن الحُجة، أو يكتبون العلم دون فهم ويحدثون عن كل أحد دون تحرى الصادق من الرواة، ويقول: هذا مثل حاطب ليل يوشك أن يقطع حزمة الحطب، فيحملها، ولعل فيه أفعى تلدغه، وهو لا يدرى.

١٠ - النشاط العلمى للإمام الشافعى:

قال الشافعى: طلب العلم أفضل من صلاة نافلة.

١٠ - ١ - مجالسة العلمية:

كان للإمام مجلس علمى بالحرم المكى، وقد عقد هذا المجلس مبكراً

فى حياة شيوخه، وفى الوقت الذى كان أقرانه ومن قاربه فى السن مازالوا فى دور طلب العلم. وقد تقدم فى قصة الإمام أحمد والإمام الحميدى من الشافعى رحمه الله على الجميع، ما يوضح لنا هذه القضية.

أما مجالسه فى مصر فيحكى لنا عنها صاحبه الربيع بن سليمان فيقول: كان الشافعى - رحمه الله تعالى - يجلس فى حلقته إذا صلى الصبح، فيجيئه أهل القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه فى تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا، فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا، وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر، فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار، ثم ينصرف - رحمه الله تعالى-.

١٠ - ٢ - حبه للتصنيف:

كان للإمام الشافعى تعلق فكرى عجيب فى مسائله، فلا يزال ذهنه متفكراً فى المسائل، حتى ربما يعرض له المعنى اللطيف ليلاً فيأمر بالمصباح فيوقد ليسارع بكتابة ما ظهر له خشية أن ينساه.

يقول الحميدى: خرجت مع الشافعى إلى مصر، وكان هو ساكناً فى العلو، ونحن فى الأوساط، فربما خرجت فى بعض الليل، فأصيح بالغلام - يعنى الخادم - فيسمع الشافعى صوتى فيقول: بحقى عليك أرق، فأرقى، فإذا قرطاس ودواة؛ فأقول: مه؛ يا أبا عبد الله. فيقول: فتفكرت فى معنى حديث - أو فى مسألة - فخفت أن يذهب علىَّ، فأمرت بالمصباح وكتبته.

وكان الإمام الشافعى رحمه الله تعالى يقسم ليله ثلاثة أثلاث، فى الأول يكتب، وفى الثانى ينام، وفى الثالث يصلى.

١٠ - ٣ - مناظراته:

للشافعى مناظرات ممتعة، تظهر فيها قدرات الشافعى العقلية، والعلمية، كما تظهر حبه للإنصاف.

يقول الإمام الشافعى رحمه الله تعالى: ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ، وما فى قلبى من علم إلا وددت أنه عند كل أحد، ولا ينسب إلىَّ.

ويحلف الشافعى يوماً ويقول: ما ناظرت أحداً إلا على النصيحة.

ولكن كان الشافعى مدركاً لمنزلته العلمية تمام الإدراك، لا يظلم نفسه، ولا يضعها فى غير منزلتها، فما كان يقبل مناظرة أى أحد، ويشترط أن يكون مناظره قريباً منه فى الدرجة العلمية.

قال له الفضل بن الربيع حاجب هارون الرشيد: أحب أن أسمع مناظرتك للحسن بن زياد اللؤلؤى.

قال الشافعى: ليس اللؤلؤى فى هذا الحد، ولكن أحضر بعض أصحابى، حتى يكلمه بحضرتك.

فقال: أو ذاك.

فحضر الشافعى، وأحضر معه رجلاً من أصحابه كوفياً كان ينتحل قول أبى حنيفة وصار من أصحابه. فلما دخل اللؤلؤى أقبل عليه، والشافعى حاضر بحضرة الفضل بن الربيع، فقال له: إن أهل المدينة ينكرون على أصحابنا بعض قولهم، وأريد أن أسأل عن مسألة من ذلك.

فقال اللؤلؤى: سل.

فقال له: ما تقول فى رجل قذف محصنة، وهو فى الصلاة؟

قال: اللؤلؤى: صلاته فاسدة.

فقال له: فما حال طهارته؟

فقال اللؤلؤى: طهارته بحالها، ولا ينقض قذف طهارته.

فقال له: فما تقول إن ضحك فى صلاته؟

قال اللؤلؤى: يعيد الطهارة والصلاة.

فقال له: فقذف المحصنة فى الصلاة أيسر من الضحك فيها؟

فقال اللؤلؤى: وقفنا فى هذا، ثم وثب فمضى. فاستضحك الفضل بن الربيع. فقال له الشافعى: ألم أقل إنه ليس فى هذا الحد.

١١ - صفاته:

١١ - ١ - تكوينه النفسى:

١ - قرشيته: لعل من أول المؤثرات فى تكوين شخصية الإمام الشافعى كونه من قريش، وقد رأينا كيف أن قرشيته هى التى دفعت بوالدته كى ترحل به مبكراً إلى مكة كى ينشأ فى وسط أقرانه من قريش على ذات الصفات والأخلاق والوسط الاجتماعى والثقافى والسياسى والاقتصادى قبل الإسلام، ثم تعضد هذا الوضع وامتداده بعد الإسلام بخروج النبى ﷺ من قريش، ثم توالى الخلفاء الراشدون ثم الدولة الأموية، ثم الدولة العباسية وجميعهم ينتسبون إلى أرقى بيوتات قريش وأقواها.

ولا ريب أن من كان هذا نسبه فإنه يؤثر فى تكوينه تأثيراً لا ينكر.

ومن الطبيعى أن القريشيين كانوا محل حسد وغيرة بسبب مكانتهم الاجتماعية المتميزة.

يحكى لنا الحميدى عن نفسه ما يوضح لنا ذلك، فى قصة طريفة عن أول مجلس حضره للإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - يقول الحميدى: جلسنا إلى الشافعى، ودارت مسائل، فلما قمنا قال لى أحمد ابن حنبل: كيف رأيت فجعلت أتتبع ما كان أخطأ فيه، وكان ذلك منى بالقرشية (يعنى من الحسد). فقال لى أحمد بن حنبل: فأنت لا ترضى أن يكون رجل من قريش يكون له هذه المعرفةُ وهذا البيان، وتمرُّ مائة مسألة يخطئ خمساً أو عشراً؛ اترك ما أخطأ، وخذ ما أصاب.

يقول الربيع بن سليمان: كان الشافعى عربى النفس عربى اللسان.

وكانت قرشية الشافعى أحد دعائم تكوينه النفسى، ناظر ذات يوم محمد بن

الحسن فغلبه، بحضور هرثمة بن أعين أحد خواص قواد هارون الرشيد، فكتب هرثمة الخبر، ودخل به على هارون الرشيد، فقال: أكان يأمن محمد بن الحسن أن يقطعه رجل من بنى عبد مناف؟ فاخرج إلى الشافعى وأقرئه سلامى، وقل له: إن أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسة آلاف دينار، وعجلها لك من بيت مال الحضرة. قال الشافعى: فخرج هرثمة، وأقرأنى سلامه، وقال: إن أمير المؤمنين قد أمر بخمسة آلاف دينار. وقال هرثمة: لولا أن أمير المؤمنين لا يساوى؛ لأمرت لك بمثلها، ولكن الق غلامى فاقبض منه أربعة آلاف دينار. فقال الشافعى: جزاك الله خيراً، لولا أنى لا أقبل جائزة إلا ممن هو فوقى لقبلت جائزتك، ولكن عجل لى ما أمر به أمير المؤمنين.

فانظر كيف امتنع الشافعى - رحمه الله تعالى - من قبول جائزة هرثمة بسبب قرشيته، وحيث لم يكن هرثمة من قريش، وقبلها من هارون الرشيد لكونه أعلى نسباً منه.

٢ - الجماعة العلمية: للجماعة العلمية أثر كبير فى تكوين المنتسب إليها، ولا يقتصر الأثر على الجانب العلمى وحده، بل يمتد ليشمل كافة الجوانب الأخرى وخاصة الأخلاقية التى تمتاز بها الجماعة. وإذا نظرنا إلى الجماعة العلمية فى عصر الإمام الشافعى رحمه الله تعالى فسنجد الكثير من الصفات والميزات العامة التى تركت أثرها الكبير فى شخصية الإمام الشافعى رحمه الله تعالى، ولا شك أن هناك الكثير من المواقف الحياتية التى عبرت من خلالها تلك الجماعة عن شخصيتها.

ولقد حكى لنا الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - نفسه العديد من تلك المواقف، وحكايته لها دليل على تأثيرها فيه، حتى أنه اعتنى بحكايتها وروايتها لتلاميذه.

فمن ذلك ما رواه الشافعى قال: حدثنى عمى محمد بن على قال: إنى لحاضر مجلس أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور، وفيه ابن أبى ذئب (وهو أحد حفاظ الحديث البارزين)، والحسن بن زيد والى المدينة، فأتى الغفاريون (قبيلة من العرب منها أبو ذر الغفارى رضى الله عنه) فشكوا إليه شيئاً من أمر الحسن. فقال: يا أمير المؤمنين، سل فيهم ابن أبى ذئب؛ فسأله؛ فقال: أشهد أنهم أهل تحكم فى أعراض المسلمين، كثيرو الأذى لهم. فقال أبو جعفر: قد سمعتم. فقالوا: سله عن الحسن. فقال: ما تقول فيه؟ فقال: أشهد أنه: يحكم بغير الحق، ويتبع هواه. قال محمد: فجمعت ثيابى، والسياف قائم على رأس أبى جعفر مخافة أن يأمر به فيقتل، فيصيب دمه ثوبى. فقال: أبو جعفر: قد سمعت يا حسن ما قاله. فقال: سله عن نفسك. فقال أبو جعفر لابن أبى ذئب: فما تقول فىّ؟ قال: أو يعفينى أمير المؤمنين. فقال: والله لتخبرنى. فقال: أشهد أنك أخذت هذا المال من غير حقه،

وجعلته فى غير أهله. فجاء أبو جعفر من موضعه؛ حتى وضع يده فى قفاه. قال محمد: فجمعت ثيابى مخافة أن يأمر به، فيصيب دمه ثوبى. ثم قال أبو جعفر: أما والله لولا أنا لأخذت أبناء فارس والروم والترك والديلم بهذا المكان منك. فقال: قد ولى أبو بكر وعمر: فأخذا بالحق ، وقسما بالسوية، وأخذا بأقفاء فارس والروم، وأصغرا آنافهم. فخلى أبو جعفر قفاه، وأطلق سبيله، وقال: والله لولا أعلم أنك صادق لقتلتك. فقال ابن أبى ذئب لأبى جعفر: أنا والله أنصح لك من المهدى (يعنى ابنه).

ويروى الإمام الشافعى رحمه الله تعالى: أن محمد بن عجلان (أحد كبار رواة الحديث) كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. قال: فخطب والى المدينة يوماً فأطال الخطبة، فلما نزل وصلى: صاح به ابن عجلان فقال: يا هذا اتق الله: تطيل بيانك وكلامك على منبر رسول الله ﷺ. فأمر به فحبس فأخبر ابن أبى ذئب، فدخل على الوالى، وقال: حبست ابن عجلان!؟ فقال: ما يكفيه أنه يأمرنا فيما بيننا وبينه، فنصير إلى ما يأمرنا؛ حتى يصيح بنا على رؤوس الناس؛ فنستضعف. فقال ابن أبى ذئب: ابن عجلان أحمق أحمق؛ هو يراك تأكل الحرام وتلبس الحرام (يعنى ولا ينهاك عن ذلك)، ويقول: لا تطل بيانك وكلامك على منبر رسول الله ﷺ. فقال الوالى: أخرجوا ابن عجلان ما عليه من سبيل.

ويحكى الإمام الشافعى رحمه الله تعالى عن سفيان الثورى أنه دخل على أمير المؤمنين، فجعل يتجانُّ عليهم، ويمسح البساط، ويقول: ما أحسنه، ما أحسنه، بكم أخذتم هذا. ثم قال: البول البول، حتى أخرج.

فالإمام الثورى كان لا يحب الدخول على السلطان، فأراد أن

يحتال بما فعل ليعتقدوا فيه الجنون، فيزهدوا فيه، ويتباعد عنهم.

ويقول الإمام الشافعى رحمه الله تعالى: سمعت مالك بن أنس يقول: سمعت ابن عجلان يقول: إذا أغفل العالم (لا أدرى): أصيبت مقاتله.

ويحكى الشافعى موقفاً من مواقف الجود الذى كان من أخص صفاته، فيقول: عاتب رجاء بن حيوة الزهرى فى الإنفاق والدَّين (وكان الزهرى يستدين لينفق على أصحابه، وينفق فى وجوه البر) فقال: لا تأمن من أن يمسك عنك هؤلاء القوم؛ فتكون قد حملت على أمانتك، فوعده أن يقصر. فمر به رجاء ابن حيوة يوماً وقد وضع الطعام، ونصب موائد العسل. فقال له رجاء: هذا الذى افترقنا عليه؟ فقال له الزهرى: أنزل؛ فإن السخى لا تؤدبه التجارب .

١١ - ٢ - بيان بعض من صفاته رحمه الله تعالى:

١ - علو الهمة:

كان الإمام الشافعى عالى الهمة إلى الغاية منها.

فمن ذلك ما يحكيه الحميدى: خرجت مع الشافعى إلى مصر، وكان هو ساكناً فى العلو، ونحن فى الأوساط، فربما خرجت فى بعض الليل، فأرى المصباح؛ فأصيح بالغلام - يعنى الخادم - فيسمع الشافعى صوتى فيقول: بحقى عليك أرق، فأرقى، فإذا قرطاس ودواة؛ فأقول: مه يا أبا عبد الله. فيقول: تفكرت فى معنى حديث - أو فى مسألة - فخفت أن يذهب علىَّ، فأمرت بالمصباح وكتبته.

٢ - لطفه بأصحابه:

كان الإمام الشافعى رحمه الله تعالى لطيفاً بأصحابه رقيق الحاشية، وكان لأصحابه تعلق كبير به، يرحلون معه إذا رحل ويسكن كثير

منهم حوله وبالقرب منه، حتى لا يفوتهم منه شئ. وفيما حكاه لنا الحميدى فى النقطة السابقة ما يوضح لنا طرفاً من ذلك.

٣ - صلاحه وحبه للصالحين:

كان الشافعى من كبار الصالحين والعباد، لا يترك قيام الليل، فكان يقسم ليله ثلاثاً، ثلث يصلى، وثلث يؤلف، ثلث ينام.

وكان له مع صالحى أهل زمانه ودّ وأنس.

أرسل يوماً تلميذه حرملة إلى إدريس بن يحيى العابد مالك والمتوفى بمصر سنة (٢١١)، وقال لحرملة: قل له يدعو الله لى.

٤ - عبادته:

كان الشافعى رحمه الله تعالى كثير العبادة محباً للصلاة، وتلاوة القرآن، وقيام الليل، يحدثنا الربيع بن سليمان المرادى عن صلاة شيخه الإمام الشافعى رحمه الله تعالى فى رمضان فيقول: كان الشافعى يختم القرآن فى شهر رمضان ستين مرة، كل ذلك فى صلاة.

يقول الإمام الحسين الكرابيسى: بت مع الشافعى ثمانين ليلة، وكان يصلى نحو ثلث الليل، فما رأيته يزيد على الخمسين آية، فإذا كثر فمائة، وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله تعالى لنفسه، وللمؤمنين أجمعين، ولا يمر بآية عذاب إلا تعوذ بالله منها، وسأل النجاة لنفسه ولجميع المؤمنين، وكان جمع فيه الخوف والرجاء معاً.

٥ - ورعه:

أراد الشافعى الخروج إلى مكة، فأسلم إلى قصّار (يعنى: خياط) ثياباً بغدادية مرتفعة الثمن، فوقع حريق، فاحترق دكان القصّار

والثياب، فجاء القصَّار ومعه قوم يتحمل بهم على الشافعى فى تأخيره ليدفع إليه قيمة الثياب. فقال له الشافعى: قد اختلف أهل العلم فى تضمين القصَّار، ولم أتبين أن الضمان يجب، فلست أضمنك شيئاً.

ودخل الإمام الشافعى رحمه الله تعالى يوماً على خادم للرشيد وهو فى بيت قد فرش بالديباج، فلما وضع الشافعى رجله على العتبة أبصره، فرجع ولم يدخل. فقال له الخادم: أدخل. فقال الشافعى: لا يحل افتراش هذا.

٦ - تواضعه:

كان الإمام الشافعى رحمه الله تعالى متواضعاً، لا يحب الشهرة، ولا يحب الثناء على ما كان معه من العلم، على رغم ما كان فيه من الشهرة الواسعة.

يقول الإمام الشافعى رحمه الله تعالى: وددت أن كل علم أعلمه تعلمه الناس: أوجر(١) عليه، ولا يحمدونى.

ويقول الإمام الشافعى رحمه الله تعالى: ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ، وما فى قلبى من علم إلا وددت أنه عند كل أحد، ولا ينسب إلىَّ.

ويقول الإمام الشافعى رحمه الله تعالى للإمام أحمد بن حنبل: أنتم أعلم بالحديث والرجال منى، فإذا كان الحديث صحيحاً فأعلمونى.

ومع هذا فيقول الإمام أحمد: ما استفاد منا أكثر مما استفدنا منه.

ومع تواضع الشافعي فإنه ما كان يريق وجهه لكل أحد، وقد

(١) كانت لغة الشافعى تسهيل المهموز أى النطق بها من غير همزة فكلمة أوجر يعنى أؤجر.

تقدم رفضه قبول جائزة هرثمة بن أعين.

كما كان الشافعي مدركاً لمنزلته العلمية تمام الإدراك، لا يظلم نفسه، ولا يضعها في غير منزلتها، وقد ذكرنا في مناظرات الشافعي أنه ما كان يقبل مناظرة أي أحد، ويشترط أن يكون مناظره نظيراً له في الدرجة العلمية.

٧ - هيبته:

كانت للشافعي هيبة، دخلت البيت ذات يوم مرضعة لبعض أهله، معها طفل لها، وكان الشافعى نائماً وقت القيلولة، فبكى الصبى، فخافت أن يستيقظ الشافعى، وكانت له هيبة فوضعت يدها على فم الصبى وخرجت مبادرة، وكان بعيداً، فلم تبلغ الباب حتى اضطرب الصبى. فلما استيقظ الشافعى قال له بعض أهله يمزحون معه: ويحك يا ابن إدريس كدت تقتل اليوم نفساً فاحمرّ(١) وانتفخ وجعل يقول: وكيف ذلك. فأخبروه بالخبر، فحلف(٢) أن لا يقيل مدة طويلة إلا والرحى عند رأسه تصحن، وكان إذا أراد أن يقيل جئ بالرحى حتى تطحن عند رأسه.

٨ - جوده:

كان الشافعى - رحمه الله تعالى - من أجواد الناس، يكاد لا يمسك شيئاً من كرمه وجوده، وله فى الجود مواقف كثيرة.

دخل عليه رسول من هارون الرشيد وقال: قد أمر لك بخمسة

---

(١) أى أصبح وجهه أحمر اللون من الفزع

(٢) الظاهر أن حلف الشافعى كان بالله إذا لا يجوز الحلف بغيره سبحانه فكيف يتفق هذا مع ما اشتهر عنه بأنه قال: ما حلفت بالله صادقاً ولا كاذباً؟ أم إن هذه الكلمة غير ثابتة عنه؟ فليحرر.

آلاف دينار. فحمل إليه المال، فدعا الشافعى بالحجَّام، فأخذ من شعره، وأعطاه خمسين ديناراً. ثم أخذ رقاعاً، وصر من تلك الدنانير صرراً، ففرقها فى القرشيين الذين هم بالحضرة، ومن هم بمكة، حتى ما رجع إلى بيته إلا بأقل من مائة دينار.

يحكى أبو ثور أن الشافعى أراد الخروج إلى مكة، ومعه مال، فقلت له - وقلما كان يمسك الشئ من سماحته - : ينبغى أن تشترى بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك من بعدك فخرج، ثم قدم علينا فسألته عن ذلك المال: ما فعل به. فقال: ما وجدت بمكة ضيعة يمكننى أن أشتريها؛ لمعرفتى بأصلها: أكثرها قد وقفت على البيت الحرام، ولكن قد بسطنا مضرباً بمنى يكون أصحابنا إذا حجوا ينزلون فيه.

ويقول الربيع بن سليمان: تزوجت فسألنى الشافعى: كم أصدقتها؟ فقلت: ثلاثين ديناراً. فقال: كم أعطيتها؟ قلت: ستة دنانير فصعد داره، وأرسل إلى بصرة فيها أربعة وعشرون ديناراً.

ويقول محمد بن عبد الله بن الحكم: كان الشافعى أسخى الناس بما يجد، وكان يمر بنا، فإن وجدنى، وإلا قال: قولى لمحمد - إذا جاء - يأتى المنزل؛ فإنى لست أتغدى حتى يجئ.

ويقول عمرو بن سواد السرحى: كان الشافعى أسخى الناس على الدينار والدرهم والطعام. وقال لى الشافعى: أفلست فى عمرى ثلاث إفلاسات، فكنت أبيع قليلى وكثيرى، حتى حلى ابنتى وزوجتى.

٩ - **تقلله من المطعم والمشرب:** يقول الشافعى - رحمه الله تعالى: ما شبعت منذ ست عشرة سنة إلا شبعة، اطّرحتها؛ لأن الشبع يثقل البدن، ويقسى القلب، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف صاحبه عن العبادة.

١٠ - فراسته وذكاؤه:

كان الشافعى على درجة عالية من الفراسة والذكاء، ودقة الملاحظة لما حوله.

كان يقول: إذا رأيتم الكتاب فى إلحاق وإصلاح فاشهدوا له بالصحة.

وذلك لأن من نسخ كتاباً فلابد من أن يخطئ فيه، فإذا راجعه واكتشف خطأه أصلحه وألحق ما فاته بالهامش، وأما من لم يرجع فيأتى كتابه خالياً من الإصلاح والإلحاق، فيبقى خطؤه على حاله، وهذا من ذكاء الشافعى وحسن إدراكه للواقع، وصحة تصوره للأمور.

وكان الشافعى - رحمه الله تعالى - ولعاً بالفراسة، وكتبها، ويحكى عن نفسه فيقول: خرجت إلى اليمن فى طلب كتب الفراسة، حتى كتبتها وجمعتها، ثم لما حان انصرافى مررت على رجل فى طريقى، وهو محتب بفناء داره أزرق العينين، ناتئ الجبهة، سناط (أى لا لحية له) فقلت له: هل من منزل؟ فقال: نعم. قال الشافعى: وهذا النعت أخبث ما يكون فى الفراسة. فأنزلنى، فرأيت أكرم رجل: بعث إلى بعشاء وطيب، وعلف لدابتى، وفراش ولحاف. فجعلت أتقلب الليل أجمع، ما أصنع بهذه الكتب؛ إذ رأيت هذا النعت فى هذا الرجل، فرأيت أكرم رجل، فقلت: ارم بهذه الكتب. فلما أصبحت قلت للغلام: أسرج أسرج، فركبت، ومررت عليه، وقلت له: إذا قدمت مكة، ومررت بذى طوى فسل عن منزل محمد بن إدريس الشافعى. فقال لى الرجل: أمولى لأبيك أنا. قلت: لا. فهل لك عندى من نعمة؟ قلت: لا. فقال: أين ما تكلفت لك البارحة. قلت: وما هو. قال: اشتريت لك طعاماً بدرهمين، وإداماً بكذا، وعطراً بثلاثة

دراهم، وعلفاً لدابتك بدرهمين، وكراء الفراش واللحاف درهمان. قلت: يا غلام أعطه، فهل بقى من شئ؟ قال: كراء المنزل، فإنى وسعت عليك، وضيقت على نفسى. قال الشافعى: فغبطت نفسى بتلك الكتب، فقلت له بعد ذلك: هل بقى من شئ؟ قال: امض أخزاك الله، فما رأيت قطاً شراً منك.

وكان الشافعى يقول: إذا أردت أن تعرف الرجل: أكاتب هو، فانظر أين يضع دواته، فإن وضعها عن شماله أو بين يديه فاعلم أنه ليس بكاتب.

يعنى أنه ليس بكاتب محترف، لأنه وضع دواة الحبر بعيداً عن يده اليمنى، فيكون أشق عليه، وأبعد. فربما سقط الحبر من الريشة أثناء هذه المسافة، كما أنه ربما أصاب بيده اليسرى الدواة فقلبها، وإذا وضع الدواة أمام الكتاب بين يديه ربما تزحزح الكتاب أثناء عملية الكتابة فقلب الدواة، كما أن الدواة تلقى بظلها على الكتاب فتحجب الضوء عنه؛ ولهذا فإن أفضل موضع للدواة أن تكون عن يمين الكاتب.

١١ - شغفه بدراسة المجتمع من حوله:

كان الإمام الشافعى رحمه الله تعالى ولعاً بدراسة الظاهرة الاجتماعية من حوله، دائم السعى لفهم شخصيات المجتمع ونماذجه، وله فى ذلك مواقف كثيرة.

فمن ذلك قوله: احذر الأعور والأحول والأعرج والأحدب والأشقر والكوسج وكل من به عاهة فى بدنه، وكل ناقص الخلق؛ فإنه صاحب التواء ومعاملته عسرة.

ويقول: ما رأيت سميناً عاقلاً قط إلا رجلاً واحداً. يريد محمد بن

الحسن صاحب أبى حنيفة فقد كان سميناً. ويقول: ما أفلح سمين قط، إلا أن يكون محمد بن الحسن. قيل له: ولم؟ قال: لأن العاقل لا يخلو من إحدى خلتين: إما أن يغتم لآخرته ومعاده، أو يغتم لدنياه ومعاشه. والشحم مع الغم لا ينعقد، فإذا خلا من المعنيين صار فى حد البهائم، فينعقد الشحم.

ويلاحظ الشافعى أثر زواج الأقارب على ضعف النسل فيقول: ليس قوم لا يخرجون نساءهم إلى رجال غيرهم فى التزويج، ولا رجالهم إلى نساء غيرهم فى التزويج إلا جاء أولادهم حمقى.

١٢ - فصاحته:

كان الشافعى من أفصح الناس، وأعلم بلغات العرب، حتى عدوه ممن تؤخذ عنه اللغة.

وقد خرج الشافعى - كما يحكى عن نفسه - إلى قبيلة هذيل بالبادية، ليتعلم كلامها، ويأخذ طبعها العربى، وكانت أفصح العرب.

يقول ابن هشام صاحب المغازى وكان بصيراً بالعربية: الشافعى ممن تؤخذ عنه اللغة.

ويقول الإمام أحمد: كان الشافعى من أفصح الناس، وكان مالك يعجبه قراءته؛ لأنه كان فصيحاً.

ويقول أبو عبيد القاسم بن سلام (أحد كبار الأئمة): كان الشافعى ممن يؤخذ عنه اللغة.

ويقول أحمد بن أبى سريج: ما رأيت أحداً أفوه، ولا أنطق من الشافعى.

ويقول الجاحظ: نظرت فى كتب هؤلاء النبغة الذين نبغوا فى

العلم، فلم أر أحسن تأليفاً من المطلبى، كأن كلامه ينظم دُراً إلى دُرّ.

وكان الشافعى يقول: أصحاب العربية جن الإنس يبصرون ما لا يبصر غيرهم.

يعنى أنهم يفهمون من أسرار النصوص القرآنية والنبوية ما لا يفهم غيرهم لمعرفتهم بأسرار اللغة العربية ودقائقها.

١٣ - مواعظه وحكمه:

للشافعى مواعظ بالغة، وأشعار رقيقة تدل على ما كان ينطوى عليه قلبه من الصلاح والتقوى وعلى ما كان يمتاز به من العقل والحكمة.

فمن ذلك أنه حضر ميتاً يوماً، فلما سُجِّى عليه، نظر إليه فقال: اللهم بغناك عنه، وفقره إليك اغفر له.

وعاتب الإمام الشافعى رحمه الله تعالى ابنه يوماً، وكان فيما قال له فوعظه به: يا بنى والله لو علمت أن الماء البارد يثلم من مروءتى شيئاً - ما شربت إلا حاراً.

وقال الإمام الشافعى رحمه الله تعالى: إن للعقل حداً ينتهى إليه، كما أن للبصر حداً ينتهى إليه.

وقال رحمه الله تعالى: سياسة الناس أشد من سياسة الدواب.

وقال رحمه الله تعالى: اعلم أنه ليس إلى السلامة من الناس سبيل، فانظر الذى فيه صلاحك فالزمه.

وقال رحمه الله تعالى: لا تسكنن بلداً لا يكون فيه عالم يفتيك عن دينك، ولا طبيب ينبئك عن أمر بدنك.

وأنشد الشافعى:

ولا تعطـــين الرأى من لا يريده فلا أنت محمودُ، ولا الرأى نافعه

١٤ - هواياته:

يقول الإمام الشافعى عن نفسه: كـانت نـهمتى فـى شـيئين: فـى الرمى، وطلب العلم، فنلت من الرمى حتى كنت أصيب مـن عشـرة عشرة وسكت عن العلم وهو فيه كذلك بل أكثر.

١٢ - وفاته رحمه الله:

١٢ - ١ - مرض الوفاة:

مرض الإمام الشافعى رحمه الله تعالى مرضاً شديداً، وكانت علتـه بالبواسير، فاشتدت عليه علته.

ويحكى تلميذه يونس بن عبد الأعلـى: مـا رأينـا أحـداً لقـى مـن السقم ما لقى الشافعى، فدخلت عليه فقال لى: يا أبا موسى اقرأ علىَّ ما بعد العشرين والمائة من آل عمـران، وأخـف القـراءة، ولا تثقـل، فقرأت عليه، فلما أردت القيام. قال: لا تغفل عنى، فإنى مكروب.

وذكر الإمام الشافعى رحمه الله تعالى ما وضع من كتبه فى مرضـه فقال: لوددت أن الخلق تعلمه ولم ينسب إلى منه شئ أبداً.

ويقول المزنى: دخلت على الشافعى فى مرضه الـذى مـات فيـه. فقلت: كيف أصبحت يا أستاذ؟

فقال: أصبحت من الدنيا راحلاً، ولأخوانى مفارقاً، ولكأس المنية شـارباً، وعلـى الله وارداً، ولسـواء عملـى ملاقيـاً، فـوالله مـا أدرى أروحى تصير إلى الجنـة، أو إلى النـار، فأعزيـها. ثـم رمـى بطرفـه إلى السماء، واستعبر وأنشد:

إليك إله الخلق أرفعُ رغبتى ... وإن كنتُ يا ذا المن والجود مجرما
تَعَاظمنى ذنبى فلما قرنتُه ... بعفوك ربى كان عفوك أعظما
ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى ... جعلت رجائى نحو عفوك سلما
فما زلتَ ذا عفو عن الذنب لن تزل ... تجود وتعفو منة وتكرما
فلولاك لم يقدر بإبليس عابد ... فكيف وقد أغوى صفيك آدما

يقول الربيع بن سليمان: لما كان مع المغرب ليلة مات الشافعى قال له ابن عمه: تنزل حتى نصلى. فقال: تجلسون تنتظرون خروج نفسى؟! فنزلنا، ثم صعدنا، فقلنا له: صليت أصلحك الله؟ قال: نعم. وتوفى رحمه الله تعالى مع العشاء الآخرة.

١٢ - ٢ - وفاته:

توفى رحمه الله كما يحكى تلميذه الربيع بن سليمان: ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة بعد ما صلى المغرب، آخر يوم من رجب، ودفناه يوم الجمعة، فانصرفوا، فرأوا هلال شعبان سنة أربع ومائتين. فيكون رحمه الله عاش أربعا وخمسين سنة.

* * *

الباب الثانى

طريقة العراقيين

وطريقة الخراسانيين

كان للإمام الشافعى رحمه الله تعالى تلامذة نشروا مذهبه فى بغداد فى العراق، وآخرون نشروا مذهبه فى خراسان، وآخرون نشروا مذهبه فى مصر، وأصبحت هناك طريقتان كبيرتان فى العالم، طريقة الخراسانيين وطريقة العراقيين فى تناول مذهب الإمام الشافعى.

وبدأت كل طريقة فى التميز عن أختها ابتداء من أصحاب الشافعى كما سنذكره، وأصبح لكل فريق طريقة معينة فى التفكير الفقهى، وفى الاستنباط، وفى الأصول، إلا أنهما يعملان سوياً من خلال أصول الشافعى بالجملة، وظل الحال هكذا إلى أن وصلنا إلى اتحاد الطريقتين مرة أخرى فى تلامذة القفال المروزى.

وأخذت الطريقتان تتلاشيان حتى انتهتا تماماً فى عصر الإمام الرافعى، ومن بعده الإمام النووى، ولم يعد بعد ذلك ما يذكر فى هذه العصور من الفرق بين طريقة أصحابنا الخراسانيين وأصحابنا العراقيين.

وهذه الصورة مذهب للمذهب نجدها عند الإمام النووى حينما ذكر سلسلة التفقه التى تلقاها فى الفقه الشافعى.

سلسلة المذهب الشافعى:

يقول الإمام النووى - رحمه الله تعالى: فأما أنا فأخذت الفقه قراءة

وتصحيحاً وسماعاً وشرحاً وتعليقاً عن جماعات أولهم شيخى الإمام أبو إبراهيم إسحاق بن أحمد بن عثمان المغربى ثم المقدسى - رضى الله عنه - ، ثم شيخنا أبو عبد الرحمن بن نوح بن محمد بن إبراهيم المقدسى، ثم الدمشقى مفتى دمشق، ثم شيخنا أبو حفص عمر بن أسعد بن أبى طالب الربعى، ثم الأربلى، وتفقه شيوخنا على الإمام أبى عمرو بن الصلاح، وتفقه هو على والده فأخذ عنه الطريقتين.

أما طريقة العراقيين: فعلى أبى سعيد عبد الله بن محمد بن هبة الله ابن على بن أبى عسرون الموسوى، وتفقه أبو سعيد على القاضى أبى على الفارقى، وتفقه الفارقى على الشيخ أبى إسحاق الشيرازى، الذى تفقه على القاضى أبى الطيب الطبرى طاهر بن عبد الله، وأبو الطيب تفقه على أبى الحسن الماسرجسى محمد بن على بن سهل بن مصلح، وتفقه أبو الحسن الماسرجسى على أبى إسحاق المروزى إبراهيم بن أحمد، وتفقه المروزى على ابن سريج، وهو أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج، وتفقه ابن سريج على أبى القاسم عثمان بن باشر الأنماطى، وتفقه الأنماطى على المزنى، أبى إبراهيم إسماعيل بن يحيى، وتفقه المزنى على الإمام الشافعى.

وتفقه الإمام الشافعى على جماعة منهم: مالك بن أنس، والإمام سفيان بن عيينة، والإمام أبو خالد مسلم بن خالد الزنجى. أما الإمام مالك: فتفقه على ربيعة الرأى عن أنس، وعلى نافع عن ابن عمر.

وأما الإمام سفيان بن عيينة فعلى: عمرو بن دينار عن ابن عمر، وابن عباس - رضى الله عنهما -.

وأما الإمام أبو خالد مسلم بن خالد الزنجى: فعلى عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس.

وأخذ ابن عباس عن النبى ﷺ، وعن جماعات من الصحابة منهم: عمر بن الخطاب، وعلى، وزيد بن ثابت رضى الله عنهم جميعاً عن سيدنا رسول الله ﷺ.

يقول الإمام النووى: وأما طريقة أصحابنا الخراسانيين، فأخذتها عن شيوخنا المذكورين عن ابن الصلاح عن والده عن أبى القاسم ابن البزرى الجزرى عن إلكيا الهراسى أبى الحسن على بن محمد بن على، والذى تفقه على إمام الحرمين أبى المعالى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى عن والده أبى محمد الجوينى عن القفال المروزى الصغير، والذى تفقه على أبى زيد المروزى محمد بن أحمد بن عبد الله، وأخذ أبو زيد عن أبى إسحاق المروزى عن ابن سريج على ما سبق.

ومن هنا يتبين لنا أن ابن الصلاح كان قد تلقى الطريقتين، وأن طريقة العراقيين والخراسانيين مازالتا تدرسا حتى عصر ابن الصلاح الذى جمع بينهما كما جمع بينهما قبل ذلك أبو إسحاق المروزى أيضاً.

وأبو إسحاق المروزى هو: إبراهيم بن أحمد صاحب الشرح قال عنه الإمام النووى: وحيث أطلق أبو إسحاق فى المذهب فهو المروزى، كان إماماً جليلاً غواصاً على المعانى ورعا زاهداً، وهو إمام جماهير أصحابنا، وشيخ المذهب، وإليه تنتهى طريقة أصحابنا العراقيين والخراسانيين - كما قدمنا فى سلسلة الفقه - تفقه على أبى العباس بن سريج، وانتهت إليه رئاسة العلم ببغداد، وانتشر العلم عن أصحابه فى البلاد، شرح المختصر (يعنى مختصر المزنى)، وصنف فى الأصول، ونشر مذهب الشافعى فى العراق، وسائر الأمصار، وآخذ عنه الأئمة، وانتشر الفقه من أصحابه فى البلاد، وخرج إلى مصر آخر عمره.

قال العبادى: وقعد فى مجلس الشافعى بمصر سنة القرامطة، واجتمع عليه الناس، وضربوا إليه أكباد الإبل، وسار فى الآفاق عن مجلسه سبعون إماماً من أصحاب الشافعى، وتوفى بها سنة ٣٤٠هـ.

طبقات الخراسانيين:

إذا ألقينا الضوء على خراسان نجد أن مدائن خراسان كانت أربعة: نيسابور، وهراة وبلخ، ومرو، ومرو أعظمها ولهذا يعبر أصحابنا بالخراسانيين تارة وبالمراوزة أخرى، والمراد بمرو إذا أطلقت مرو الشاهقجان، والشاهقجان معناه روح الملك.

وأما مرو الروذ فإنها تستعمل مقيدة، والروذ هو النهر بلغة فارس، والنسبة إلى مرو: المروزى، وإلى مرو الروذ المروذى، وقد تخفف إلى المروذى.

والشافعية بخراسان كانت الطبقة الأولى منهم هى طبقة أصحاب الشافعى: منهم إسحاق بن راهوية الحنظلى، ومنهم حامد بن يحيى ابن هانئ البلخى، وقد أخذ عن الشافعى، وأكثر عن سفيان بن عيينة، ومات ٢٠٢هـ فى حياة الشافعى، ومنهم أبو سعيد الأصفهانى الحسن بن محمد بن يزيد، وهو أول من حمل علم الشافعى إلى أصفهان، ومنهم أبو الحسين النيسابورى على بن سلمة بن شقيق، ومات سنة ٢٥٢هـ.

والطبعة الثانية طبقة تلامذتهم، وعلى رأسهم: أبو بكر بن إسحاق ابن خزيمة صاحب الصحيح، ومنهم أبو عبد الله محمد بن نصر المروزى، الذى ولد ببغداد سنة ٢٠٢هـ، ونشأ بنيسابور، وتفقه بمصر على أصحاب الشافعى، وسكن بسمرقند إلى أن توفى سنة ٢٩٤هـ ومنهم أبو محمد المروزى عبدان بن محمد بن عيسى، تفقه على المزنى،

ومنهم أبو عاصم فضيل بن محمد الفضيلى الكبير الفقيه، فقيه هراة ومفتيها، ومنهم أبو الحسن الصابونى، ومنهم أبو سعيد الدارمى، ومنهم أبو عمرو الخفاف رئيس نيسابور، ومنهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم العبدى البوشنجى.

ثم بعد ذلك تلتهم طبقة ثالثة هى طبقة تلامذة هؤلاء، وعلى رأسهم: أبو على الثقفى، وأبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب الصبغى، وأبو بكر المحمودى المروزى، وأبو الفضل يعقوب بن إسحاق بن محمود الهروى.

ثم بعد ذلك تلتهم طبقة رابعة هى تلامذة الطبقة الثالثة، ومنهم أبو إسحاق المروزى تلميذ بن سريج، والذى تلتقى عنده سلسلة الطريقتين كما ذكرنا عن النووى سابقاً، ومنهم أيضاً أبو الوليد حسان بن محمد القرشى النيسابورى، ومنهم أبو الحسين النسوى، ومنهم أبو بكر البيهقى، ومنهم أبو منصور عبد الله بن مهران، وهو من أكابر أصحاب الوجوه.

وتأتى بعد ذلك الطبقة الخامسة، وعلى رأسهم: أبو زيد المروزى، وأبو سهل الصعلوكى، وأبو العباس الهروى، وأبو حفص الهروى وغيرهم.

وهكذا تأتى الطبقة السادسة من تلامذتهم، وعلى رأسهم: أبو بكر القفال المروزى شيخ الطريقة، وأبو الطيب الصعلوكى، وأبو يعقوب الأبيوردى، وأبو إسحاق الإسفراييني.

ثم تأتى الطبقة السابعة، وعلى رأسهم: القاضى الحسين، وأبو على السنجى، وأبو بكر الصيدلانى.

ثم تأتى الطبقة الثامنة من الخراسانيين، وعلى رأسهم: إمام

الحرمين والذى ألف كتابه الكبير ((نهاية المطلب فى دراية المذهب)) وسنرى كيف أنه كان بداية لسلسلة كتب الشافعية.

ثم تأتى الطبقة التاسعة، وهى من أواخر طبقات هذه السلسلة، فمنهم إلكيا الهراسى، وأبو سعد المتولى، ومحيى السنة البغوى، والرويانى، ومنهم أيضاً إمام الحرمين، حجة الإسلام الغزالى.

كتب الخراسانيين:

هناك الكثير من كتب الخراسانيين، أشهرها مصنفات أبى على السنجى الذى شرح مختصر المزنى، والذى سماه إمام الحرمين بالمذهب الكبير، وأيضاً شرح تلخيص ابن القاص، وشرح فروع ابن حداد، التى اهتم الخراسانيون بشرحها كثيراً.

قال النووى: واعلم أنه متى أطلق القاضى فى كتب متأخرى الخراسانيين كالنهاية والتتمة والتهذيب وكتب الغزالى ونحوها فالمراد القاضى الحسين، ومتى أطلق القاضى فى كتب متوسطى العراقيين فالمراد القاضى أبو حامد المروذى. وقال ابن السبكى: ومن كتب الخراسانيين وأتباعهم: تعليقة القاضى حسين، والفتاوى له، والسلسلة للجوينى، والجمع والفرق له، والنهاية لإمام الحرمين، والتهذيب للبغوى، والإبانة للفورانى، والعمدة للفورانى أيضاً، وتتمة الإبانة للمتولى، والبسيط والوسيط والوجيز والخلاصة للغزالى، وشرح الوسيط لشيخنا ابن الرافعة، وإشكالات الوسيط والوجيز للعجيلى، وحواشى الوسيط لابن السكرى، وإشكالات الوسيط لابن الصلاح، والشرح الكبير للرافعى، والشرح الصغير له، والتهذيب له، والروضة للنووى، ومختصر المختصر للجوينى، وشرحه المسمى بالمعتبر، والمحرر، والمنهاج، وتذكرة العالم لأبى على ابن سريج، واللباب للشيشى.

طبقات العراقيين:

ذاك ما كان من أمر الخراسانيين، أما طبقات طريقة العراقيين، فأولها كان من طبقة أصحاب الشافعى، منهم: أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبى البغدادى الذى تفقه على الإمام مباشرة، ومنهم أحمد ابن حنبل الإمام المشهور، ومنهم أبو جعفر الخلال أحمد بن خالد البغدادى، ومنهم أبو جعفر النهشلى ثم البغدادى، ومنهم أبو عبد الله الصيرفى، ومنهم أبو عبد الرحمن أحمد بن يحيى بن عبد العزيز البغدادى، ومنهم الحادث بن سريج النقال وهو الذى نقل كتاب الشافعى «الرسالة» إلى عبد الرحمن بن مهدى ومات ٢٣٦هـ، ومنهم الحسن بن عبد العزيز المصرى نزيل بغداد، ومنهم الكرابيسى الحسين ابن علي البغدادى الذى مات فى ٢٤٨هـ.

والطبقة الثانية من العراقيين كان على رأسهم: أبو القاسم الأنماطى، وأبو بكر النيسابورى، وأبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الترمذى، والقاضى أبو عبيد على بن الحسين بن حربويه البغدادى، وأبو إسحاق الحربى، وأبو الحسن المنذرى.

والطبقة الثالثة على رأسهم: ابن سريج وهو شيخ الأصحاب، وسالك سبيل الإنصاف، وصاحب الأصول والفروع، وناقض قوانين المعترضين على الشافعى: أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج القاضى البغدادى شيخ الشافعية فى عصره، ومنهم أبو سعيد الأصطخرى، وأبو على بن خيران، وأبو حفص المعروف بابن الوكيل: عمر بن عبد الله البغدادى.

والطبقة الرابعة: وهم تلامذة الثالثة: على رأسهم أبو إسحاق المروزى، ومنهم أبو على بن أبى هريرة، وأبو الطيب محمد بن فضل بن مسلمة البغدادى،وأبو بكر الصيرفى البغدادى، وأبو العباس بن

القاضى، وأبو جعفر الاستراباذى، وأبو بكر أحمد بن الحسين بن سهل الفارسى صاحب «عيون المسائل فى نصوص الشافعى» ومات ٣٥٠هـ ومنهم أيضاً أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد القطان المتوفى ٣٥٩هـ.

ثم جاءت الطبقة الخامسة، وعلى رأسهم: الداركى وهو: أبو القاسم عبد العزيز بن عبد الله البغدادى شيخ العراق، ومنهم أبو على الطبرى، ومنهم أبو الحسن بن المرزبان.

ثم جاءت الطبقة السادسة من بعدهم، وهم تلامذة الطبقة الخامسة، وعلى رأسهم: أبو حامد الإسفراييني أحمد بن محمد بن أحمد البغدادى الذى توفى فى ٤٠٦هـ، ومنهم أبو الحسن الماسرجسى، ومنهم أبو الفضل النسوى.

والطبقة السابعة ومنهم: أبو الحسن الماوردى صاحب كتاب الحاوى والقاضى أبو الطيب، وسليم بن أيوب الرازى، وأبو الحسن المحاملى والشاشى والبندنيجى، والقاضى أبو سعيد الأبيوردى.

ثم جاءت الطبقة الثامنة، وهى من خواتم طريقة العراقيين: منهم القاضى أبو السائب عقبة بن عبد الله بن موسى الهمدانى، وأبو الحسن المحاملى الكبير، وأبو سهل أحمد بن زياد، والفقيه البغدادى، وأبو بكر محمد بن عمر الزيادى البغدادى، وأبو محمد الجوزجانى، وأبو الطيب الصائد الخلال صاحب كتاب العراقيين.

كتب العراقيين:

أهم كتب كانت لطريقة العراقيين، يقول فيها الإمام النووى: واعلم أن مدار كتب أصحابنا العراقيين أو جماهيرهم مع جماعات من الخراسانيين، على تعليق الشيخ أبى حامد الإسفراييني وهو فى نحو

خمسين مجلداً، جمع فيه من النفائس مالم يشارك فى مجموعة من كثرة المسائل والفروع، وذكر مذاهب العلماء وبسط أدلتها والجواب عنها. قال: اعلم أن نسخ تعليق الشيخ أبى حامد تختلف فى بعض المسائل، وقد نبهت على كثير من ذلك فى شرح تهذيب المهذب.

ومن كتبهم أيضاً يقول الإمام السبكى: تعليقة الشيخ أبى حامد الإسفراييني، والذخيرة للبندنيجى، والدريق للشيخ أبى حامد، وتعليقة البندنيجى أيضاً، والمجموع والأوسط للمحاملى، والمقنع واللباب والتجريد للمحاملى، وتعليقة القاضى أبى الطيب الطبرى، والحاوى، والإقناع للماوردى، واللطيف لأبى الحسين بن خيران والتقريب والمجرد لسليم، والكفاية لسليم، والكفاية للعبدرى، والتهذيب لنصر المقدسى، والكافى وشرح الإشارة له، والكفاية للمحاجرى، والتلقين لابن سراقة، وتذنيب الأقسام للمرعشى، والكافى للزبيدى، والمطارحات لابن اللقان، والشافى للجرجانى، والتجريد له، والمعاياة له، والبيان للعمرانى، والانتصار لابن عسرون والمرشد له، والتنبيه والإشارة له، والشامل لأبى نصر بن الصباغ والعدة لأبى عبد الله الحسين بن على الطبرى.

فقه الطريقتين والجمع بينهما:

يقول الإمام النووى فى فقه الطريقتين: اعلم أن نقل أصحابنا العراقيين لنصوص الشافعى وقواعد مذهبه ووجوه متقدمى أصحابنا أتقن وأثبت من نقل الخراسانيين غالباً والخراسانيون أحسن تصرفاً وبحثاً وتفريعاً وترتيباً.

يقول تاج الدين السبكى فى ترجمة الإمام أبى على الحسين بن شعيب بن محمد السنجى: أول من جمع بين الطريقتين.

وقال أيضاً عن الفورانى: إنه ذكر فى خطبة الإبانة أنه بين الأصح من الأقوال والوجوه، قال التاج السبكى: وهو من أقدم. المبتدئين لهذا الأمر.

ثم قام إمام الحرمين بجمع طرق المذهب ووجوه الأصحاب المتقدمين فى عمله العظيم نهاية المطلب فى علم المذهب، وقام بالترجيح فيما اختلف فيه الأصحاب، فى ضوء قواعد المذهب، وسار تلميذه الغزالى من بعده على نهجه وأكمل ما بدأه وهذبه، وفتح المجال لتهذيب المذهب وتنقيحه، ذلك الغرض الذى خدم وختم بجهود الإمامين الرافعى والنووى، ولهذا استحقا لقب الشيخين.

أعلام الشافعية:

صنف الإمام النووى كتابه المشهور تهذيب الأسماء واللغات، جمع فيه ما وقع من ذلك فى مختصر المزنى، والمهذب، والتنبيه، والوسيط، والوجيز، والروضة، وقال رحمه الله: «وخصصت هذه الكتب بالتصنيف لأن الخمسة الأولى منها مشهورة بين أصحابنا يتداولونها أكثر تداول، وهى سائرة فى كل الأمصار، مشهورة للخواص والمبتدئين فى كل الأقطار...» كما تشتمل طبقات ابن هداية الله الحسينى على مهمات أعلام الأصحاب.

وسنذكر منها ما تمس إليه الحاجة على سبيل الاختصار فمن ذلك:

أبو أمية الطرطوسى: محمد بن إبراهيم، ت٢٧٣هـ.

أبو إسحاق: حيث أطلق المذهب فهو المروزى.

أبو إسحاق الإسفراييني: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، ت ٤١٨هـ.

أبو إسحاق الشيرازى: إبراهيم بن على بن يوسف بن عبد الله الشيرازى، ت ٤٧٢هـ.

أبو إسحاق المروزى: إبراهيم بن أحمد المروزى، شيخ المذهب، وإليه تنتهى طريقة الخراسانيين والعراقيين، ت ٣٤٠هـ.

أبو الحسن الماوردى: على بن محمد بن حبيب، صاحب الحاوى (مطبوع) وغيره، ت ٤٥٠هـ.

أبو الحسن الماسرجسى: محمد بن على بن سهل بن مفلح، ت ٣٨٤

أبو الحسين بن القطان: أخمد بن محمد بن أحمد بن القطان البغدادى، ت ٣٥٩هـ.

أبو الربيع الإيلاقى: طاهر بن محمد بن عبد الله، ت ٤٦٥هـ.

أبو الطيب الصعلوكى: سهل بن محمد بن سليمان العجلى، ت ٣٨٧هـ.

أبو الطيب الطبرى: القاضى طاهر بن عبد الله بن طاهر، ت ٤٥٠هـ.

أبو العباس بن سريج: أحمد بن عمر بن سريج البغدادى، إمام الأصحاب، تفقه أبى القاسم الأنماطى، وتفقه الأنماطى على المزنى، توفى ابن سريج سنة ٣٠٦هـ، وعدّ مجدد قرنه.

أبو العباس بن القاص: أحمد بن أبى أحمد القاص الطبرى، صاحب التلخيص، ت ٣٣٥هـ.

أبو القاسم الداركى: عبد العزيز بن عبد الله، ت ٣٧٥هـ.

أبو الوليد النيسابورى: حسان بن محمد بن أحمد بن هارون، ت

٣٤٩هـ.

أبو بكر الإسماعيلى: أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الجرجانى، ت ٣٧١هـ.

أبو بكر الصبغى: أحمد بن إسحاق، ت ٣٤٢هـ.

أبو بكر الصيرفى: محمد بن عبد الله، ت ٣٣٠هـ.

أبو بكر النيسابورى: عبد الله بن محمد بن زياد، ت ٣٢٤هـ.

أبو بكر بن الحداد: محمد بن أحمد القاضى المصرى صاحب كتاب الفروع، من مشهورات كتب المذهب، ت ٣٤٥هـ.

أبو بكر بن المنذر: محمد بن إبراهيم بن المنذر، صاحب التصانيف، ت ٣٠٩هـ.

أبو بكر بن لال: أحمد بن على بن أحمد، ت ٣٧٨هـ.

أبو ثور: إبراهيم بن خالد الكلبى، ت ٢٤٠هـ.

أبو حامد الإسفراييني: أحمد بن محمد بن أحمد، شيخ طريقة العراق، ت ٤٠٦هـ.

أبو حامد المروذى: أحمد بن بشر بن عامر القاضى، ت ٣٦٢هـ.

أبو زيد المروزى: محمد بن أحمد بن عبد الله، ت ٣٧١هـ.

أبو سعد المتولى: عبد الرحمن بن مأمون، صاحب تتمة الإبانة، ت ٤٧٨هـ.

أبو سعيد الأصطخرى: الحسن بن أحمد بن يزيد بن عيسى، ت ٣٢٨هـ.

أبو سهل الصعلوكى: محمد بن سليمان بن محمد العجلى، ت

٣٦٩هـ.

أبو طاهر الزيادى: محمد بن محمد بن محمش بن على، ت بعد ٤٠٠هـ.

أبو عبد الله الزبيرى: الزبير بن أحمد بن سليمان، من نسل الزبير ابن العوام - رضى الله عنه - توفى الزبيرى قبل ٣٢٠هـ،

أبو على الثقفى: محمد بن عبد الوهاب النيسابورى، ت ٣٢٨هـ.

أبو على السنجى: الحسين بن شعيب، أخذ على القفال والشيخ أبى حامد شيخاً الطريقتين، وجمع بينهما فى تصانيفه.

أبو على الطبرى: الحسن بن القاسم، ت ٣٥٠هـ.

أبو على بن أبى هريرة: القاضى الحسن بن الحسين البغدادى، ت ٣٤٥هـ.

الأبيوردى: أبو منصور على بن الحسين، ت ٤٨٧هـ، وأبو سهل أحمد بن على ت ٤٨٣هـ.

الأذرعى: شهاب الدين أحمد بن عبد الله الأذرعى، صاحب «جمع التوسط والفتح بين الروضة والشرح» وغنية المحتاج شرح المنهاج الفروعى، وقوت المحتاج شرح المنهاج الفروعى أيضاً أكبر من الأول، وهو المراد بالقوت عند الإطلاق، ت ٧٠٨هـ.

الأنماطى: عثمان بن سعيد بن بشار، ت ٣٨٥هـ.

الأودنى: أبو بكر محمد بن عبد الله الأودنى، ت ٣٨٥هـ.

الإسنوى: جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن، صاحب التمهيد، والمهمات وشرح المنهاج الأصولى، وغيره، ت ٧٧٢هـ.

إمام الحرمين: ضياء الدين أبو المعالى عبد الملك بن الشيخ أبى محمد الجوينى، صاحب التصانيف، وإمام الأصحاب، والإمام عند

الإطلاق فى كتب الفروع، ت ٤٧٨هـ.

ابن أبى عصرون: أبو سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله الموصلى، ت ٥٨٥هـ.

ابن أبى هريرة: القاضى الحسن بن الحسين البغدادى، ت ٣٤٥هـ.

ابن الرفعة: أبو يحيى نجم الدين أحمد بن محمد بن على الأنصارى، صاحب الكفاية شرح التنبيه، والمطلب شرح الوسيط، وغيرها، وهو شيخ السبكى، ت ٧٣٥هـ.

ابن السبكى: جمال الدين، وتاج الدين، وبهاء الدين.

ابن الصباغ: أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد صاحب الشامل، ت ٤٧٧هـ.

ابن الصلاح: تقى الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الكردى، صاحب التصانيف كالمقدمة فى المصطلح والفتاوى وشرح مسلم وغيرها، ت ٦٤٣هـ.

ابن المنذر: محمد بن إبراهيم بن المنذر، ت ٣٠٩هـ.

ابن بنت الشافعى: أحمد بن محمد عبد الله المطلبى الشافعى نسباً ومذهباً، أبوه ابن عم الشافعى، وأمه زينب بنت الإمام الشافعى رحمه الله - من كبار أئمة الأصحاب المتقدمين، لم يكن فى آل شافع بعد الإمام الشافعى أجل منه.

ابن برهان: أبو الفتح أحمد بن على بن برهان، ت ٥١٨هـ.

ابن خزيمة: محمد بن إسحاق، شمس الأئمة، صاحب الصحيح ت ٣١١هـ (وسيأتى مزيد بيان فى الحنفية عمن يعرف بابن خزيمة).

ابن خيران: على بن الحسين بن صالح بن خيران البغدادى، ت

٣١٠هـ تقريباً.

ابن سريج: أبو العباس بن سريج، تقدم.

ابن كج: القاضى يوسف بن أحمد الدينورى، ت ٤٠٥هـ.

ابن مرزبان: أبو الحسن على بن أحمد البغدادى، ت ٣٦٦هـ.

الاستراباذى: أحمد بن محمد أبو جعفر الاستراباذى.

البغوى: محيى السنة الحسين بن مسعود البغوى، صاحب التهذيب، شرح السنة، وغيره، ت ٥١٠هـ.

البندنيجى: القاضى أبو على الحسن بن عبد الله، صاحب الجامع والذخيرة ت ٤٢٥هـ.

بهاء الدين بن السبكى: أبو حامد أحمد بن على، شارح التلخيص البلاغى، وغيره، ت ٧٧٣هـ.

البوشنجى: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجى، ت ٢٩٠هـ، وأبو سعيد إسماعيل بن أبى القاسم عبد الواحد بن إسماعيل، ت ٥٣٠هـ.

البويطى: أبو يعقوب يوسف بن يحيى القرشى، ت ٢٣١هـ.

البيهقى: أبو بكر أحمد بن الحسين، صاحب التصانيف، ت ٤٥٨هـ.

تاج الدين بن السبكى: شيخ الإسلام عبد الوهاب بن على، ت ٧٧١هـ.

الجرجانى: جماعة منهم: أبو أحمد محمد بن أحمد، ت ٣٧٣هـ.

وأبو العباس الجرجانى أحمد بن محمد القاضى صاحب كتاب

المعاياة (مطبوع) والتحرير والبلغة، ت ٤٨٢هـ.

جمال الدين بن السبكى: الحسين بن على، نبغ وتفقه، وتولى التدريس بعدة مدارس، وتوفى فى حياة والده، سنة ٧٥٥هـ.

الجوينى: أبو محمد عبد الله بن يوسف والد إمام الحرمين، ت ٤٣٨هـ.

حرملة: أبو عبد الله حرملة بن يحيى بن عبد الله المصرى التجيبى، صاحب الإمام الشافعى، وأحد رواة كتبه، ٢٤٣هـ.

الحليمى: أبو عبد الله الحسن بن الحسين، صاحب المنهاج فى شعب الإيمان، ت ٤٠٦هـ.

الحميدى: عبد الله بن الزبير، ت ٢١٩هـ.

الخضرى: محمد بن أحمد المروزى.

الخطيب البغدادى: أبو بكر أحمد بن الخطيب البغدادى، صاحب التصانيف، ت ٤٦٣هـ.

الدارمى: أبو الفرج محمد بن عبد الواحد البغدادى، ت ٤٤٩هـ.

الرازى: فخر الدين عمر بن الحسين، الإمام على الإطلاق فى كتب الأصول، ت ٦٠٦هـ.

الرافعى: أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القزوينى، محرر المذهب، ت ٦٢٣هـ.

الربيع الجيزى: الربيع بن سليمان الجيزى صاحب الإمام الشافعى رحمه الله له رواية قليلة عن الشافعى مذكورة فى الكتب، ت ٢٥٦هـ.

الربيع المرادى: الربيع بن سليمان المرادى، قال الشافعى لـه: أنـت راوية كتبى، فكان كما قال، فهو أكثر أصحاب الشافعى روايـة عنـه، ت ٢٧٠هـ.

الرويانى: عبد الواحد بن إسمـاعيل أبـو المحاسـن فخـر الإسـلام الرويـانى، صـاحب البحـر، ت ٥٠٢هـ، وابـن أختـه أبـو المكـارم الرويانى عبد الله بن على صاحب العدة. وابن عمه القـاضى شـريح بن عبد الكريم الرويانى، صاحب روضة الحكام، ت ٥٠٥هـ.

الزركشى: بدر الدين محمد بن بهادر، له شرح المنـهاج الفروعـى، وخادم الروضة، والبحر المحيط فى الأصول، وغير ذلك، ت ٧٩٤هـ.

الزعفرانى: أبو على الحسن بن محمد بن الصباح، صاحب الإمـام الشافعى رحمه الله، أحد رواة القديم، ت ٢٦٠هـ.

السبكى: شيخ الإسلام تقـى الديـن علـى بـن عبـد الكـافى، ت ٧٥٦هـ، وأبناءه: كمال الدين، تاج الدين، بهاء الدين.

السرجسى: أبو الحسن محمد بن على، ت ٣٨٤هـ.

سليم الرازى: سليم بن أيوب أبو الفتح الرازى، ت ٥٤٧هـ.

السمعانى: أبو المظفر منصور بن محمد التميمى، صاحب القواطـع فى أصول الفقه، أجل ما صنف فيه، ت ٤٨٩هـ.

الشاشى: فخر الإسلام محمد بن أحمد بن الحسين الشاشـى، وهـو المعروف بالمستظهر، صاحب حليـة العلمـاء (مطبـوع)، ت ٥٠٧هـ (وسيأتى مزيد بيان عما ينسب إلى شاش فى الحنفية).

شرف الدين بن المقرى: إسماعيل بن أبى بكـر المقـرى، صـاحب الإرشاد، والروض، وإخلاص الناوى شرح الحاوى الصغير وغيرها،

ت ٨٣٧هـ.

الشيخ أبو حامد: أحمد بن محمد بن أحمد، أبو حامد الإسفراييني، شيخ طريقة العراق، ت ٤٠٦هـ.

صاحب الإبانة هو: الفورانى، يأتى.

صاحب الإرشاد: شرف الدين بن المقرى.

صاحب البحر: هو الرويانى المتقدم.

صاحب البيان: أبو الخير يحيى بن أبى الخير سالم العمرانى، ت ٥٥٨هـ.

صاحب التتمة: أبو سعد المتولى، تقدم.

صاحب التعجيز: تاج الدين عبد الرحيم بن عبد الملك، ت ٦٦٩هـ.

صاحب التقريب: أبو الحسن القاسم بن القفال الشاشى الكبير.

صاحب التلخيص: أبو العباس بن القاص، تقدم.

صاحب التهذيب: محى السنة الحسين بن مسعود البغوى، صاحب شرح السنة وغيره، ت ٥١٠هـ.

صاحب التوشيح: تاج الدين بن السبكى.

صاحب الجرجانيات: أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الرويانى، الجد الأعلى للرويانى صاحب البحر، ت ٤٥٠هـ.

صاحب الحاوى: هو أبو الحسن الماوردى.

صاحب الذخائر: بهاء الدين أبو العلى المجلى بن نجا المخزومى الأسيوطى المصرى، الشهير بالقاضى مجلى، ت ٥٤٩هـ.

صاحب الروض: شرف الدين بن المقرى، تقدم.

صاحب الشامل: ابن الصباغ، تقدم.

صاحب العدة: اثنان أبو المكارم الرويانى عبد الله بن على، وأبو عبد الله الحسين بن على بن الحسين، قال ابن هداية الله الحسينى: «العدتان كتابان جليلان، وقف النووى على العدة لأبى عبد الله دون العدة لأبى المكارم، والرافعى بالعكس، لكن علم بعدة أبى عبد الله، وبلغه منها النقل، فحيث أطلق النووى فى زيادات العدة فمراده: عدة أبى عبد الله، وحيث أطلق الرافعى فى الشرحين العدة فمراده عدة أبى المكارم، ما يرويه عن عدة أبى عبد الله يضيفها إلى صاحبها فيقول عن الحسين الطبرى فى عدته».

صاحب الفروع: أبو بكر بن الحداد: محمد بن أحمد القاضى المصرى، من مشهورات كتب المذهب، ت ٣٤٥هـ.

صاحب المذهب الكبير: أبو على السنجى تقدم، والمذهب الكبير شرح على مختصر المزنى، سماه بذلك إمام الحرمين.

صاحب جمع الجوامع: أبو سهل أحمد بن محمد الدورى، المعروف بابن عفريس، ت ٣٦٢هـ.

الصيدلانى: أبو بكر محمد بن داود المروزى، ت ٤٢٧هـ تقريباً.

العبادى: أبو عاصم محمد بن أحمد بن محمد الهروى، له المبسوط، والهادى والزيادات، وزيادات الزيادات، وطبقات الفقهاء المشهورة، ت ٤٥٨هـ. وابنه أبو الحسن العبادى أحمد ابن أبى عاصم، صاحب الرقم، ت ٤٩٥هـ. ولنا عبادى آخر، وهو: ابن قاسم العبادى متأخر عنهما بقرون، يأتى فى النحت الخطى عند الشافعية.

العز بن عبد السلام: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام

الدمشقى السلمى، شيخ الإسلام، ت ٦٦٠هـ.

الغزالى: حُجة الإسلام محمد بن محمد، صاحب التصانيف، ت ٥٠٥هـ.

الفارقى: أبو على الحسن بن إبراهيم الفارقى، ت ٥٢٨هـ.

الفورانى: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد، صاحب الإبانة، والعمدة، ت ٤٦١هـ.

القاضى: فى كتب متأخرى الخراسانيين كالنهاية والتتمة والتهذيب وكتب الغزالى ونحوها فالمراد القاضى الحسين، ومتى أطلق القاضى فى كتب متوسطى العراقيين فالمراد القاضى أبو حامد المرورّذى، ومتى أطلق فى كتب الأصول لأصحابنا فالمراد القاضى أبو بكر الباقلانى الإمام المالكى فى الفروع، ومتى أطلق فى كتب المعتزلة أو كتب أصحابنا الأصوليين حكاية عن المعتزلة. فالمراد به القاضى الجبائى.

القاضى أبو حامد: أحمد بن بشر بن عامر القاضى، أبو حامد المرورّذى، ت ٣٦٢هـ.

القاضى حسين: الحسين بن محمد أبو على المروزى، ت ٤٦٢هـ.

القاضى مجلى: صاحب الذخائر بهاء الدين أبو العلى المجلى بن نجا المخزومى الأسيوطى المصرى، ت ٥٤٩هـ.

القفال الشاشى - القفال الكبير: أبو بكر محمد بن على بن إسماعيل، وهو المراد عند إطلاق القفال فى كتب الأصول والتفسير والحديث والجدل، ت ٣٣٦هـ.

القفال المروزى - القفال الصغير: عبد الله بن أحمد القفال

المروزى، شيخ طريقة خراسان، ت ٤١٧هـ.

الكرابيسى: الحسين بن على بن يزيد، صاحب الإمام الشافعى رحمه الله، ت ٢٤٨هـ.

الكرخى: أبو القاسم منصور بن عمرو، ت ٤٤٧هـ.

الكيا الهراسى: أبو الحسن عماد الدين على بن محمد الطبرى، ت ٥٠٤هـ.

الماسرجسى: أبو الحسن محمد بن سهل.

المحاملى: أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد الضبى، صاحب تحرير الأدلة والمقنع، واللباب، والمجموع، والمجرد، ورؤوس المسائل، ت ٤١٥هـ.

المحمودى: أبو بكر محمد بن محمود المروزى.

المروزى: محمد بن نصر، صاحب التصانيف، ت ٢٩٤هـ.

المزنى: أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى، صاحب الإمام الشافعى رحمه الله، مؤلف المختصر المشهور، ت ٢٦٤هـ.

المسعودى: محمد بن عبد الملك بن مسعود، توفى سنة نيف وعشرين وأربعمائة.

نصر المقدسى: أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسى، ت ٤٩٠هـ.

النووى: يحيى بن شرف أبو زكريا النووى، شيخ المذهب، صاحب المنهاج والروضة، وشرح المذهب، والتحقيق، وشرح مسلم، وتهذيب اللغات وغيرها، ت ٦٧٦هـ.

الهروى: القاضى أبو سعد محمد بن أحمد بن أبى يوسف، صاحب

الإشراف، ت ٤٨٨هـ.

ولى الدين العراقى: أحمد بن عبد الرحيم، ابن الحافظ العراقى الشهير، له تحرير الفتاوى، وله تحرير اللباب، اختصر فيه اللباب للمحاملى، ت ٨٢٦هـ.

وسيأتى فى مبحث النحت عند الشافعية طائفة من أعلام المتأخرين من الشراح وأصحاب الحواشى.

الكتب المعتمدة فى مذهب الشافعية:

ذكرنا فيما سبق طائفة من كتب أصحابنا الخراسانيين والعراقيين إلا أن هذه الكتب وغيرها قد لاقت تحقيقاً واسعاً عند الإمام النووى والرافعى إلى أن قال الإمام بن حجر الهيثمى وغيره من المتأخرين: قد أجمع المحققون على أن الكتب المتقدمة على الشيخين - يعنى الرافعى والنووى - لا يعتد بشئ منها إلا بعد كمال البحث والتحرير، حتى يغلب على الظن أنه راجح مذهب الشافعى.

قالوا هذا فى حكم لم يتعرض له الشيخان أو أحدهما، فإن تعرضا له فالذى أطبق عليه المحققون أن المعتمد فى المذهب ما اتفقا عليه، فإن اختلفا ولم يوجد لهما مرجح، أو وجد ولكن على السواء. فالمعتمد ما قاله النووى، وإن وجد لأحدهما دون الآخر فالمعتمد ذو الترجيح، فإن اتفق المتأخرون على أن ما قالاه سهو، فلا يكون حينئذ معتمداً لكنه نادر جداً.

ثم بعد ذلك جاء ابن حجر والرملى وشرحا المنهاج، وألفا فى المذهب كثيراً بطريقة محررة، ويقول متأخرو الشافعية: إن المعتمد من بعدهما - الرافعى - والنووى - ابن حجر الهيتمى، ومحمد الرملى، فلا تجوز الفتوى بما يخالفهما، أى بما يخالف تحفة المحتاج لابن حجر،

ونهاية المحتاج للرملى؛ ذلك أن المحققين والعلماء قد قرأوهما على مصنفيهما حتى إن النهاية قرئت على الرملى إلى آخرها فى أربعمائة من العلماء فنقدوها وصححوها؛ فبلغت بذلك حد التواتر. أما التحفة فلا يحصون كثرة.

فإن اختلفا فأخذ علماء مصر بما قاله الرملى، وأخذ علماء حضرموت والشام والأكراد وأكثر اليمن والحجاز بما قاله ابن حجر، وقد ألف فى اختلافهما كتب منها:

إثمد العينين فى بعض اختلاف الشيخين «للشيخ على باصبرين».

أما ما لم يتعرضا له، فيفتى بكلام شيخ الإسلام زكريا الأنصارى، وله عدة مصنفات فقهية مطبوعة أهمها: المنهج مختصر منهاج النووى، وشرحه له أيضاً، وشرح الروض، وشرح البهجة، وتحرير تنقيح اللباب وشرحه.

ثم يؤخذ بكلام الشيخ الخطيب الشربينى، وله مغنى المحتاج شرح المنهاج، والإقناع شرح متن أبى شجاع، وهما مشهوران مطبوعان.

ثم بكلام حاشية الزيادى، ثم بكلام حاشية ابن قاسم العبادى على تحفه ابن حجر، وهو مطبوع معها، ثم بكلام الشيخ عميرة فى حاشيته المشهورة على شرح المحلى على المنهاج وهى مطبوعة أيضاً، ثم بكلام الشيخ على الشبراملسى على نهاية الرملى وهى مطبوعة معها، ثم بكلام حاشية الحلبى، ثم بكلام حاشية الشوبرى، ثم بكلام حاشية العنانى، وذلك ما لم يخالفوا أصل المذهب، هذا ما قرره المتأخرون من علماء المذهب وساروا عليه بالفعل فى كتبهم وحواشيهم وتقاريرهم إلى عصرنا هذا.

تسلسل كتب المذهب: أ - وبعد ما ألف الإمام الجوينى «النهاية»

- نهاية المطلب - دارت كتب المذهب عليه. والنهاية هو اختصار لكتب الإمام الشافعى الأربعة التى ألفها فى الفقه، وهى: الأم، والإملاء، والبويطى، ومختصر المزنى، أو أنه شرح لمختصر المزنى - كما قال بعضهم، وجمع فيه طرق المذهب وأوجه الأصحاب.

ثم اختصر الغزالى النهاية إلى البسيط، ثم اختصر البسيط إلى الوسيط، وهو إلى الوجيز، ثم اختصره إلى الخلاصة. وفى البيجرمى على شرح المنهج وغيره أن الرافعى اختصر من الوجيز «المحرر». ثم اختصر الإمام النووى المحرر إلى «المنهاج» ثم اختصر شيخ الإسلام زكريا المنهاج إلى «المنهج» ثم اختصر الجوهرى المنهج إلى «النهج».

ب - وشرح الرافعى الوجيز بشرحين، صغير لم يسمه، وكبير سماه العزيز، فاختصر الإمام النووى العزيز إلى الروضة، واختصر ابن مقرى الروضة إلى «الروض» فشرحه شيخ الإسلام زكريا شرحاً سماه «الأسنى» واختصر ابن حجر الروض إلى «النعيم» جاء نفسياً فى بابه غير أنه فقد فى حياته. واختصر الروضة أيضاً الإمام المزجد فى «العباب» فشرحه ابن حجر شرحاً جمع فيه فأوعى فى «الإيعاب» غير أنه لم يكمل واختصر «الروضة» أيضاً السيوطى مختصراً سماه «الغنية» ونظمها أيضاً نظماً سماه «الخلاصة» لكنه لم يتم كما ذكره فى فهرست مؤلفاته.

ج - وكذلك اختصر القزوينى «العزيز شرح الوجيز» إلى «الحاوى الصغير»، فنظمه ابن الوردى فى «بهجته» فشرحها شيخ الإسلام بشرحين. قال ابن حجر - رحمه الله - فى أثناء كلامه من ذيل تحرير المقال: وقولهم إنه منذ صنف الإمام كتاب النهاية، الذى شرح لمختصر المزنى، الذى رواه من كلام الشافعى - رضى الله عنه - وهو فى ثمانية أسفار حاوية، لم يشتغل الناس إلا بكلام الإمام؛ لأن

تلميذه الغزالى اختصر «النهاية» المذكورة فى مختصر مطول حافل وسماه «البسيط» واختصره فى أقل منه، سماه «الوسيط» واختصره فى أقل منه وسماه «الوجيز» فجاء الرافعى وشرح الوجيز شرحاً مختصراً، ثم شرحاً مبسوطاً ما صنف فى مذهب الشافعى مثله، وأسفاره نحو العشرة غالباً، ثم جاء النووى واختصر هذا الشرح، ونقحه، وحرره، واستدرك على كثير من كلامه، مما وجده محلاً للاستدراك، وسمى هذا المختصر «روضة الطالبين» وأسفاره نحو أربعمائة غالباً، ثم جاء المتأخرون بعده فاختلفت أغراضهم، فمنهم المحشون، وهم كثيرون أطالوا النفس فى ذلك حتى بلغت حاشية الأذرعى التى سماها «التوسط بين الروضة والشرح» إلى فوق الثلاثين سفراً، وكذلك الإسنوى حشى، وابن العماد والبلقينى كذلك، هؤلاء هم فحول المتأخرين، ثم جاء هؤلاء الأربعة الإمام الزركشى فجمع ملخص حواشيهم فى كتابه المشهور، وسماه «خادم الروضة»، وهو فى نحو العشرين سفراً.ووقع لجماعة أنهم اختصروا الروضة، ومنهم المطول، ومنهم المختصر «كالروض» للشرف المقرى (ت ٨٣٧هـ) فأقبل الناس على تلك المختصرات، فلما ظهر الروض رجع أكثر الناس إليه لمزيد اختصاره، وتحرير عبارته، ثم جاء شيخ الإسلام فشرحه حسناً جداً، وأثر فيه الاختصار فانثال الناس عليه، إلى أن جاء صاحب العباب أحمد بن عمر المزجد الزبيدى فاختصر الروضة، وضم إليها من فروع المذهب ما لا يحصى.وكذلك اختصر صاحب الحاوى الصغير، والشرح الكبير اختصاراً لم يسبق إليه، فإنه جمع حاصل المقصود منه فى ورقات نحو ثمن جزء من أجزائه العشرة فأذعن له أهل عصره: أنه فى بابه ما صنف مثله، فأكب الناس عليه حفظاً وشروحاً. ثم نظمه صاحب البهجة، فأكبوا عليها حفظاً وشروحاً كذلك. إلى أن جاء الشرف المقرى فاختصره فى أقل منه

بكثير، وسماه «الإرشاد» (مطبوع) فأكب الناس عليه حفظاً وشروحاً. قال مقيده عفا الله عنه: وممن شرحه ابن حجر الهيثمى فشرحه بشرحين. كبير ولم يطبع، وصغير سماه فتح الجواد شرح الإرشاد (مطبوع)، ومعه حاشية عليه لابن حجر أيضاً.

د - : وألف المحاملى (ت ٤١٥هـ) اللباب، وهو من كتب العراقيين المعتبرة، فاختصر الولى العراقى (ت ٨٢٦هـ) فى تحرير اللباب، فاختصره شيخ الإسلام زكريا الأنصارى (ت ٩٢٦هـ) فى تنقيح تحرير اللباب (مطبوع) ثم شرحه فى تحفة الطلاب (مطبوع)، فحشى عليه الشيخ الشرقاوى (ت ١٢٢٦هـ) بحاشية مشهورة (مطبوعة).

* * *

قائمة المصادر

لمزيد من المعلومات عن الإمام الشافعى رحمه الله تعالى راجع الكتب المؤلفة عنه، ومنها:

١ - آداب الشافعى ومناقبه للإمام عبد الرحمن بن أبى حاتم، تحقيق الشيخ عبد الغنى عبد الخالق، مصورة دار الكتب العلمية ببيروت، على الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣م،د ن.

٢ - رحلة الشافعى، رواية تلميذه الربيع بن سليمان الجيزى، ط السلفية، ١٣٥٠هـ.

٣ - مناقب الشافعى، للبيهقى، تحقيق السيد أحمد صقر، ط١، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، دار التراث.

٤ - مناقب الشافعى، للإمام فخر الدين الرازى، ط المكتبة العلمية، ١٢٧٩هـ.

٥ - مناقب الشافعى، للحافظ بن كثير، تحقيق خليل إبراهيم ملا خاطر، ط مكتبة الإمام الشافعى - الرياض، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٦ - توالى التأسيس بمعالى ابن إدريس، للإمام ابن حجر العسقلانى، ط الأميرية ببولاق، الأولى، ١٣٠١هـ.

٧ - الشافعى، حياته وعصره - آراؤه وفقهه، للشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربى، ط٢، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.

٨ - الإمام الشافعى ناصر السنة وواضع الأصول، لعبد الحليم

الجندى، دار الكتاب العربى، ١٩٦٧م.

٩ - الإمام الشافعى فى مذهبيه القديم والجديد، للدكتور أحمد نحراوى عبد السلام الإندونيسى، نشر المؤلف، ط مكتبة الشباب، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

كما أن للإمام الشافعى رحمه الله تعالى تراجم موسعة فى كتاب التاريخ المشهورة راجع على سبيل المثال:

١٠ - الأنساب للسمعانى ٧٠/ ٢٥١:٢٥٦، تحقيق الأستاذ محمد عوامة، نشر محمدأمين دمج، بيروت، ط١، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

١١ - البداية والنهاية، لابن كثير، ١٠/ ٢٥١:٢٥٤، مكتبة المعارف، بيروت، ومكتبة النصر بالرياض، ط١، ١٩٦٦م.

١٢ - التاريخ الكبير، للبخارى، ١/ ١/ ٤٢، ط الهند.

١٣ - تاريخ بغداد، للخطيب البغدادى، ٢/ ٥٧:٧٣، مصورة دار الكتاب العربى، بيروت، د ت.

١٤ - تذكرة الحفاظ، للذهبى، ١/ ٣٦١:٣٦٣، دار إحياء التراث العربى، بيروت.

١٥ - تهذيب الأسماء واللغات، للنووى، ١/ ٤٤:٦٧، مطبعة المنيرية، د ت.

١٦ - تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، للمزى، ٤٤/ ٣٥٥:٣٨١، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

١٧ - حسن المحاضرة، للسيوطى، تحقيق محمد إبراهيم أبو الفضل، ١/ ٣٠٣:٣٠٤، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبى، ط١، ٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

١٨ - حلية الأولياء لأبى نعيم الأصفهانى، ٩/ ٦٣: ١٦١، مطبعة

السعادة، دت.

١٩ - سير أعلام النبلاء، للذهبى، تحقيق محمد نعيم العرقسوسى، ١٠/ ٥:٩٩، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٢٠ - شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلى، ٢/ ٩:١١، المكتب التجارى للطباعة والنشر، بيروت.

٢١ - طبقات الشافعية، للإسنوى، تحقيق عبد الله الجبورى، ١/ ١١، وما بعدها، ط الأوقاف، بغداد، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٢٢ - طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين ابن السبكى، ١/ ١:١٨٦، ط الخانجى.

٢٣ - طبقات المفسرين، للدوادى، ٢/ ٩٨:١٠٠، تحقيق على محمد عمر، مكتبة وهبة، ط١، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٢٤ - طبقات النحاة واللغويين، لابن قاضى شهبة، ص٦٢:٦٨، تحقيق محسن عياض، مطبعة النعمان، بغداد، ١٩٧٤م.

٢٥ - الفتح المبين فى طبقات الأصوليين، للمراغى، ١/ ١٣٣:١٤٢، ط عبد الحميد حنفى، د ت.

٢٦ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان، لليافعى، ٢/ ١٣:٢٨، ط الهند ١٣٣٨هـ، مصورة منشورات مؤسسة الأعلمى، بيروت، ط٢، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٢٧ - معجم الأدباء، لياقوت الحموى، ١٧/ ٢٨١:٣٢٧، مطبعة دار المأمون، بيروت.

٢٨ - النجوم الزاهرة، لابن تغرى بردى، ٢/ ١٧٦:١٧٧، ط١، دار الكتب المصرية ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م.

٢٩ - الوافى بالوفيات، للصفدى، ٢/ ١٧١:١٨١، ط٢، دار

النشر شتاينر بفيسبادن ألمانيا، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٣٠ - وفيات الأعيان، لابن خلكان، ٤/ ١٦٣:١٦٩، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م.

* * *

محتويات الكتاب

تمهيد..... ٥
الإمام الشافعى ومدرسته الفقهية..... ٥
الباب الأول..... ٦
الإمام الشافعى..... ٦
الباب الثانى..... ٥٩
طريقة العراقيين..... ٥٩
وطريقة الخراسانيين..... ٥٩
قائمة المصادر..... ٨٥

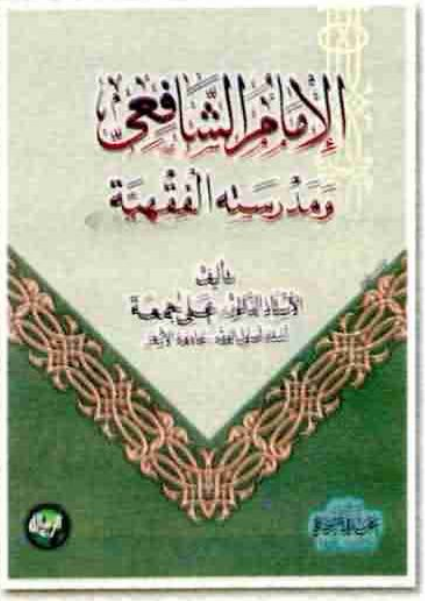

هذا الكتاب

هذه كلمات كاشفة تترجم للإمام الشافعى وتُعرِّف بمدرسته الفقهية، وكيف وصلت إلينا، كما تلقى الضوء على مجتهد من المجتهدين العظام، الذين كان لهم أكبر الأثر فى مسيرة الفقه الإسلامى بعامة، والفكر القانونى بخاصة، حتى أصبح الإمام الشافعى ومدرسته علامة فارقة فى تاريخ الفكر وتاريخ العمل معا، كان رضي الله عنه آية من آيات الله فى كونه، وليس علي الله بمستغرب أن يجمع العالم فى واحد، فرضى الله عن الإمام وجعله نبراساً يحتذى، وإماماً يقتدى به ومثالاً صالحا لطلبة العلم فى سعيهم لتحصيله لنفع الناس وإقامة وتوضيح الحجة، وعسى الله أن ينفع بهذه الورقات كثيراً من خلقه.

ولقد قسم الكتاب إلى بابين:

الأول: فى ترجمة الإمام.

والثانى: فى مدرسته كما سنرى.

والله ولى التوفيق

الناشر

الرسالة